بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٦٣

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أكتوبر ٢٠١٧م — October 2017

العدد الخامس - المجلد الثالث والستون — محرم ١٤٣٩هـ

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348, 8400476826 Email: albaas1955@gmail.com

محتويات العدد

العدد الخامس - المجلد الثالث والستون – محرم ١٤٣٩هـ

❖ **الافتتاحية :**

جناية المدنية المتطورة على الإنسان والإنسانية ! — سعيد الأعظمي الندوي

❖ **التوجيه الإسلامي :**

لا يتم فهم القرآن إلا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم — العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

جوانب بلاغية في سورة المائدة — د/ راشد عبدالله الفرحان

❖ **الدعوة الإسلامية :**

على هامش الهجرة النبوية المباركة — الشيخ الطاهر بدوي الجزائري

علاقة الشعر الجاهلي بالقرآن الكريم وخطورة الطعن فيه — الأستاذ محمد نعمة الله إدريس الندوي

❖ **دراسات وأبحاث أدبية وتاريخية :**

أثر تولي القضاء في حفظ الحديث وضبطه — د . ولي الدين تقي الدين الندوي

القيم الحضارية في السنة النبوية ..... — د . محمد شاهجهان الندوي

الكتب المترجمة باللغة الأردية وبالعكس في الهند ... — محمد فرمان الندوي

دور الإعلام وتأثيره في المجتمع الراهن وموقفه من الإسلام — أ . د . مسعود عالم الفلاحي

القرآن يتحدى كل عربي وأعجمي — الأستاذ محمد عبدالله شارق

❖ **صور وأوضاع :**

من المسئول عن الإرهاب في العالم ؟! — الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي

❖ **إلى رحمة الله تعالى :**

١. فضيلة الشيخ المحدث محمد يونس المظاهري في ذمة الله تعالى — قلم التحرير

٢. فضيلة الشيخ نسيم أحمد غازي المظاهري إلى رحمة الله تعالى — " " "

٣. الشيخ الطبيب السيد محمد إلياس في ذمة الله تعالى — " " "

٤. الأستاذ الحاج محمد إقبال الصديقي إلى رحمة الله تعالى — " " "

٥. الأستاذ محمد عمران الندوي إلى رحمة الله تعالى — " " "

٦. الأستاذ عبد العليم القدوائي إلى رحمة الله تعالى — " " "

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

جناية المدنية المتطورة على الإنسان والإنسانية !

إن نظرة عابرة على المجتمعات البشرية اليوم تفيدنا بأن نسبة الشعور بشرف الإنسان وعلو مكانته في تربية الفضائل في النفوس وقيادة العالم نحو الأمن والسعادة ، والعيش في جو من الهدوء والطمأنينة ، لا تزال تتضاءل مع تضخم آليات المدنية وتكاثر الوسائل الحضارية من كل نوع ، مما جعل المرء لا يبالي بمدويات الكوارث ونبوءات الزلازل والبراكين مثلاً ، ولا يخطر بباله أن يسرع في اتخاذ الوقاية وإزالة أسباب الأضرار والخسائر المترقبة من الشقاء المتمثل أمامه ، ولعل ذلك نوع من التقاعس ، واليأس من استخدام القوى لمواجهة الخطر ودفع النوازل بطريق إيجابي ، و بواسطة الالتجاء إلى القوة القاهرة ، دافع البلايا والمحن ، رب الكائنات جل وعلا .

ومن ثم نشاهد أن الناس ضعفت صلتهم بالواقع الإيماني العظيم ، ووقعوا فريسة الضلالات والانحرافات في جميع شئون الحياة والمجتمع ، وحلت الوسائل وحدها محل القوة القاهرة ، الواقع الذي سبب العموم لكوارث الهدم والدمار التي شملت العالم البشري من أقصاه إلى أقصاه ، وأنست الإنسان أن يفكر للحظة واحدة في أسباب الشقاء والتعاسة وكثرة الأحداث المؤلمة في صور شتى وأشكال منوعة ، فإن شخصاً يعيش في منزله بهدوء وعافية إذا به يُفاجأ بأحوال شاذة ويؤخذ بخسائر الأموال والأنفس على غفلة منه ، وهذه الأوضاع المثبطة للهمم ، والمشعرة للناس بأنهم مهددون بصفة دائمة ، أصبح شعار الحكام والزعماء المحترفين في عصرنا هذا ، إن وكالات الأنباء العالمية تتبنى تهديد الجماهير وتخويفها على المستوى المعلوم لديها ، ذلك لنشر الفوضى والإشكاليات في المجتمعات التي تعتمد على الآخرين وتستنجد في شئونها المتعددة من أصحاب القوة والمال فتكون عالة عليهم ، ولا تملك من أمرها شيئاً (سَآءَ مَثَلاً ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ) (الأعراف : ١٧٧) .

إن ما يتوافر اليوم من شهوة المناصب وتسليتها باستغلالات بشعة من غير رحمة وهوادة في الدول الغاشمة والشعوب الغنية بفنون زائفة تسحر النفوس وتخدع الجماهير ، إنما مردها إلى فقدان عقيدة التوحيد ، واعتبار الوسائل المادية آلهة ، فإليها المرجع في جميع الأحوال ، وهي العمدة في كل حال ومآل ، أما عقيدة التوحيد فهي تعم الكائنات بكاملها التي هي قائمة بأداء وظائفها من ينابيع التوحيد المتفجرة ، وإن الاستغناء عنها والتغافل عنها يأتي بمصائب ومتاعب من كل نوع ، وذلك واقع مشهود وحقيقة معلومة ملموسة ، (قُلِ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ) (الرعد : ١٦ – ١٧) .

تناست معظم الشعوب البشرية أن الله هو الواحد القهار ، فأصيبت بالذل والعار ، واستولت عليها طواغيت الساعة ، فسلطت عليها ألواناً من عذاب الخزي والدمار ، والأمراض النفسية ، والخوف والحزن واليأس ، ونشأت هناك فرق وطوائف ممن لا يقصرون في تدمير القيم الخلقية والتميزات الإنسانية ، وتخلية المناطق من سكانها ، رجالاً ونساءً ، وشيوخاً وشباباً وأطفالاً ، كأنها لم تغن بالأمس ، وذلك بتنفيذ طرائق القتل والإرهاب ، فكم من نفوس بريئة وقعت فريستها ، وليس ذلك مما يأتي عليها الحصر ، زد إلى هذه الخسائر الإنسانية ما أصيب به الناس من العداوات والحزازات بين الجماعات والقبائل ، ونتائجها في صور من الحروب والمهاجرات والانتكاسات ، مع وجود الحوادث الطبيعية وغيرها مما يواجهه الناس صدفة أو فجاءة ، وتذهب ضحيتها آلاف وآلاف من الأرواح البشرية بالإضافة إلى المجاعات والفيضانات ، والسيول العارمة التي تغطي ساحات واسعة من المساكن والمزارع ، ومن المتاجر والمنازل ، وتمحوها من ساحة الوجود ، دون أن يبقى لها عين ولا أثر ، كل ذلك يحدث كنتيجة للثقة الكبيرة بالقوة والسلطة وبالمال والأنصار ، لأناس متناسين أن هناك ملكوت السماوات والأرض تهيمن على كل ذرة من الكون وعلى كل لذة وشهوة من مال ومتاع في الأرض ، أولئك هم المغترون المخدوعون ممن عاشوا نشوة كاذبة وأحلاماً مزورة ، وعاثوا في الأرض فساداً ، ولكنهم لم يُغن عنهم شيئ من ذخائر الأموال والأمتعة ،

ولم تسعفهم ممتلكاتهم من خزائن الأرض وكنوز البلاد يوم فأجأهم الموت بجنوده وجيوشه ، وذهبوا من الدنيا خاسرين دون أن تتسنى لهم لحظة يتنفسوا فيها ، ويتحسروا على ما فاتهم من فرصة لوصية ينبسوا بها أمام أهلهم وذويهم (كَمْ تَرَكُواْ من جَنَّات وَعُيُون . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَة كَانُواْ فيهَا فَاكهينَ . كَذَلكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ) (الدخان : ٢٥ – ٢٩) .

تتمثل أمام الأعين مع قراءة هذه الآيات تهجير المسلمين من أرض الشام وإرغامهم على ترك أوطانهم ومرافقهم إلى أراض مجهولة ، ابتلعت صحاريها وأمواج البحار فيها أرواحاً بريئة من الرجال والنساء والشباب والأطفال والشيوخ ، قد يبلغ عددهم ملايين أو ما يقاربها ، وأمست بلاد الشام خراباً يباباً ، الواقع الذي يبعث على البكاء المستمر إلا أن ذلك لم يتحقق ولا ليوم واحد ، ولم يبك عليه البكاؤن ، لأن وراء هذا الواقع يختفي ما يبرر مثل هذه الكارثة التي لا مثيل لها في عصرنا الحاضر ، فأنى للسماء والأرض أن تبكيا عليه ، وليس ما حدث في بلاد الشام وحدها وإنما هناك دول مسلمة عديدة وقعت فريسة الظلم والقهر ، وأقفرت من أهلها جراء المعاصي والانحراف عن الطبيعة الإيمانية ، وتناسي عقيدة التوحيد ، مع الاقتناع الكامل بالكفر أو بما يشبهه ، ولا ريب أن المعاصي لم تعم في قوم إلا ونزلت عليه من المآسي الشديدة والظروف المستعصية ما محاه من الوجود ، وسجله التاريخ في كل زمان ، قريب أم بعيد .

إن ما يجري اليوم في الدول الإسلامية والدول العالمية باسم مكافحة الإرهاب ومقاومة الجماعات المتطرفة ، يؤكد أن الصراع لا يزال قائماً بين الجد والهزل ويتوزع الناس بين جماعات وأحزاب تدعي أنها على الحق ، وهي لا تتوخى من خلال نشاطاتها إلا تجميع الطاقات لصالح الإنسان ، وأخرى تزعم أنها تطالب العدل والمساواة وإشراك الجمهور من الناس في تسيير دفة الحكومة والنظام ، ونشر الديموقراطية في المجتمعات والمجموعات البشرية على المستوى العالمي ، ومهما تكن من جهود تبذل في إصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية فليست بشيئ يقام

له وزن ، بل إن ترسيخ جذور الإيمان في النفوس من أهم المهمات المطلوبة اليوم ، فليكن ذلك على أوسع نطاق علمي ومعرفي ، وتجميع الطاقات كلها على إيجاد الثقة بالنظام الديني الذي ليس من وضع البشر ، إنما وضعه الله سبحانه وتعالى الذي خلق البشر وأراد أن يجتمع الناس كلهم على نقطة الإنسانية والسعادة البشرية ، ويركزوا على تنفيذ شريعة السماء بغاية من الثقة واليقين بأنها هي الملجأ الأول والأخير لكل سعادة في الدنيا ، والفوز بدرجات عالية في الآخرة التي لا مناص منها في أي حال ، مهما كانت الظروف ، ولقد قال الله تعالى في سورة الجاثية من كتابه العظيم : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ) (الجاثية : ١٨ – ١٩) .

ولكن جنايات التطورات المدنية على المجموعات الإنسانية اليوم تشير إلى أنها تواجه خطراً كبيراً من أصحاب المدنيات الحديثة ، ولا سيما في مجال شريعة الله تعالى وآياته التي اتخذوها هزواً ولعباً متظاهرين بالاستكبار (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا) ، والعلامات ظاهرة ، فإن أتباع بعض الديانات يُعلنون بما إذا لم تنل مطالباتهم استجابة من الحكومات وولاة الأمور فسوف يتحولون إلى دين الإسلام مع جماعاتهم وأنصارهم ، ويُعلنون عن ذلك أمام الأشهاد وبكل ثقة وحرية .

وقال الله تعالى : (وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) .

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٨/١١/٢٧ هـ

٢٠١٧/٨/٢٠ م

التوجيه الإسلامي

لا يتم فهم القرآن الكريم
إلا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته

العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

[انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ المحدث محمد يونس الجونفوري (شيخ الحديث بجامعة مظاهر علوم ، بمدينة سهارنفور ، أترابرديش (الهند) ، وذلك في ١٦/ شوال سنة ١٤٣٨هـ المصادف ١١/ يوليو عام ٢٠١٧م ، فألقى بهذه المناسبة سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء العام) كلمةً مستفيضةً حول فهم القرآن الكريم في ضوء الأحاديث النبوية، في جامع ندوة العلماء لكناؤ . وفيما يأتي نفس الكلمة معربة ، التحرير]

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

هداية الناس إلى الصراط المستقيم :

فقد جمع الله تعالى أسباباً كثيرةً لهداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم ، فجعل القرآن الكريم توجيهاً جامعاً وهدايةً شاملةً للبشرية جمعاء ، وقرر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته لمعرفة الإيمان بالله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمه في صورة عملية ، فلم يكن الحديث النبوي للاطلاع على تفاصيل الدين الإسلامي ، ومعرفة أحكامه فحسب ، بل كان الحديث للعمل به والتطبيق على الحياة الإنسانية ، وكان قضاء الله تعالى أن تمر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بأحوال وظروف ، تمثلت فيها أسوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فجُعل قوله وعمله نموذجاً يُحتذى به، فقال الله تعالى: لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً (الأحزاب: ٢١)، وقال: وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (النجم: ٣ – ٤)

الحديث النبوي خير ذريعة للعمل بالدين :

فكان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته خير ذريعة للعمل بالدين في أتم صورة ، فإذا أردنا أن نرى الدين في صورته الأصلية فعلينا أن نراجع السيرة والسنة على صاحبهما الصلاة والسلام ، وكان من سنة الله تعالى أن تنعكس توجيهات القرآن الكريم في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته ، فكان عجيباً أن نقتبس من الدين الأحكام ، ونغض البصر عن حياته العملية ، فلا يكون الاقتداء كاملاً بدونه ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إليه فقال : صلوا كما رأيتموني أصلي (السنن الكبرى للبيهقي : رقم الحديث : ٤٤٣) ، إن هذا الحديث وإن كان يختص بالصلاة ، لكن له صميم علاقة بالطاعات والعبادات الأخرى ، ومما يمتاز به الصحابة الكرام رضي الله عنهم أنهم كل ما رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل وسلوك قلدوه ونقلوه إلى الأجيال الآتية ، فقال في حجة الوداع : ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلَّغ أوعى من سامع (صحيح البخاري : كتاب العلم ١٠٥) ، فوصلت الشريعة الإسلامية إلى الناس كافة ، وستبقى إلى يوم القيامة ، وجعلت صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجاً للاقتداء ، وورد في هذا الحديث تعليم التطبيق العملي ، فجرت سلسلة تعليم الأحكام الإسلامية ، وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعملوا به ، وربط الله تعالى قول رسوله وعمله بقوله ، فكان قوله مرتبطاً بالقرآن ، تعلم كثير منا الصلاة بعد ما رأوا ، ورأوا الكبار والمشايخ ، واختار الصحابة الكرام رضي الله عنهم عمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان الدين كله قد صدر من مشكاة القرآن والحديث .

الحديث النبوي شرح للقرآن الكريم :

القرآن كتاب الله تعالى ، والحديث النبوي شرح وبيان له ، فالقرآن مصدر مهم للدين ، وبما أنه يحمل سعةً وآيات متشابهات ، فلم يُعتبر القرآن وحده كافياً ، بل اشترط لفهم الدين معرفة الحديث النبوي ، خوطب في القرآن الإنسانية بأجمعها ، ووضعت في القرآن

الكريم المحكمات والمتشابهات ، وقيل : استفيدوا من المحكمات ، ولا تتعرضوا لفهم المتشابهات ، ومعلوم أن الذين يخوضون في المتشابهات يحملون نوايا سيئةً ، قال الله تعالى : هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ ٱللَّهُ (آل عمران : ٧) ، وقد جعل الله تعالى قول الرسول صلى الله عليه وسلم وعمله وفقاً للقرآن ، فقال : إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ . ويدل على ذلك الحديث دلالة واضحة .

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة كاملة :

فاتضح منه أن العلماء الذين يشتغلون بدراسة وتعليم الحديث الشريف ، فلا تنحصر معرفتهم في العمل به فقط ، بل تتعدى إلى العمل به والدعوة إليه ، فالذين يعملون بالسنة يكرمون بنور من الله تعالى ، ويشعرون في داخل نفوسهم بتغيير وثورة نحو مستقبلهم ، وتنصبغ حياتهم في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليس المقصود من الحديث الاستفادة العلمية فقط ، بل تطبيقه على الحياة والمجتمع ، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذجاً للمؤمنين ، فقد مرت حياته بمراحل مختلفة ، يمكن أن يأتي مثل ذلك في حياة المؤمن ، واجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ظروفاً قاسيةً ، وذاق مرارتها ، كما سعِد بأحوال سارة ، حدثت هذه الأحوال في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ليسهل للناس اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل مرحلة من المراحل ، واجه رسو ل الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وصلح الحديبية وغزوة الخندق أوضاعاً صعبةً ليأتي التوجيه الرباني في هذه الأحوال ، فلم تكن هناك قضية وإلا كان حلها في السنة والسيرة النبوية . وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم صورة صادقة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم ، اعتنى المحدثون بهذا الجانب اعتناءً بالغاً ، فكانوا خير من صانوا ونقلوا الدين إلى الأجيال الآتية ، لا يجوز التقليل من شأنهم ، لأن الاستهانة بخدماتهم الحديثية عبارة عن تمثيل ناقص للدين ، فالعلماء الذين يسعدون بخدمة الحديث لا بد لهم أن يلاحظوا أهمية خدمة الحديث النبوي الشريف .

من ضعفت صلته بالحديث كان دينه ناقصاً :

جعل الله تعالى الحديث والسنة ذريعةً لأخذ الدين من قول وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقيض الله تعالى له من العلماء العظام والمحدثين الكرام ، فبذلك سهل لهم العمل بالحديث الشريف ، هناك طبقة من الناس في العصر الحديث تأثرت بالغرب ، تُعرف بالمستشرقين ، تقول : القرآن يكفي لمعرفة الإسلام ، ولا حاجة إلى الحديث النبوي ، رغم أن الحديث شرح وبيان للقرآن ، وقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم في حياته العملية ، فلم يكن القرآن والحديث شيئين مختلفين ، بل يتصل بعضهما ببعض ، فمن ضعفت صلته بالحديث كان دينه ناقصاً ، قال الله تعالى في القرآن الكريم : فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ ٱللَّهُ .

إن أهل الإيمان يفهمون الدين الإسلامي في ضوء الآيات المحكمات والحديث النبوي . وجعل المحدثون الحديث مع الآيات المحكمات موضوعاً لهم ، وواصلوا مسيرهم على هذه النقطة ، وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : كان خلقه القرآن . (شعب الإيمان : رقم الحديث: ١٤٢٨)

بشائر سارة للمشتغلين بالحديث الشريف :

وردت بشائر كثيرة في المشتغلين بالحديث النبوي الشريف ، قال صلى الله عليه وسلم : نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره (سنن أبي داود : ٣٦٥٢ وسنن الترمذي : ٢٦٥٦) ، وأنا أعرف – شخصياً – علماء اشتغلوا بالحديث طول حياتهم ، وعملوا بالسنة ، فكانت آثاره بادية على وجوههم وقت الموت . ومن هؤلاء العلماء الشيخ حيدر حسن خان التونكي شيخ الحديث لدارالعلوم ندوة العلماء سابقاً [1] ،

[1] الشيخ المحدث حيدر حسن بن أحمد حسن ، ولد سنة ١٢٨١هـ ، وتوفي سنة ١٣٦١هـ، وكان من بلدة طونك ، من ولاية راجستهان (الهند) أخذ الحديث عن العلامة حسين بن محسن الأنصاري اليماني والمحدث نذير حسين الدهلوي ، كان متضلعاً من العلوم العقلية والنقلية ، درس في دارالعلوم لندوة العلماء ، أخذ عنه الحديث العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي .

وأستاذنا المحدث الشيخ حليم عطاء [١] ، والشيخ عبد الرشيد النعماني [٢] ، والعلامة أنور شاه الكشميري [٣] ، والشيخ المحدث السيد حسين أحمد المدني في الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند [٤] ، والشيخ السيد فخر الدين [٥] ، والمحدث الشيخ خليل أحمد السهارنفوري [٦] وتلميذه وخلفه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي [٧] ، ثم تلميذ الشيخ الكاندهلوي ، المحدث الجليل محمد يونس الجونفوري الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى أمس ، كان بارزاً في هذا المجال ، وظهر كل ذلك من جنازته ، ولم يكن وراء ذلك إلا أنه خدم الحديث النبوي خدمةً ، واشتغل به إلى آخر حياته ، وأفاد به الخاصة والعامة .

الشيخ محمد يونس من أعلام المحدثين في الهند :

وكان الشيخ محمد يونس على مكانة عالية من الربانية ، فامتاز بها بين كثير من أساتذة الحديث وعلمائه المعاصرين ، بلغ في هذا الفن

---

[١] الشيخ المحدث حليم عطاء ، كان من المحدثين الكبار في الهند ، درَّس في دارالعلوم ندوة العلماء إلى مدة ، ينتمي إلى سلون في رائي بريلي ، وكانت وفاته في شوال ١٣٧٤هـ – يونيو ١٩٥٥م .

[٢] المحدث عبد الرشيد النعماني من باكستان ، من المحدثين الكبار ، له عدة مؤلفات : منها مسند الإمام أبي حنيفة ، توفي ١٣/ أغسطس عام ١٩٩٩م .

[٣] العلامة أنور شاه بن معظم الحسيني الحنفي الكشميري ، وُلد في " ودوان " ، أحد كبار علماء الحديث الأجلاء ، وكان الشيخ أنور نادرة عصره في قوة الحفظ وسعة الاطلاع على كتب المتقدمين ، وُلد في ١٨٧٥هـ – وتوفي في ١٩٣٣م .

[٤] من علماء الجامعة الإسلامية دارالعلوم بديوبند ، رأس قسم الحديث الشريف فيها ، وكان محدثاً كبيراً وعالماً جليلاً ، وولد في ١٨٧٨هـ – وتُوفي في ٥/ديسمبر ١٩٥٧م .

[٥] كان من المحدثين العظام في الهند ، رأس قسم الحديث في الجامعة الإسلامية بدارالعلوم إلى مدة ، وُلد في ١٨٨٩م ، وتوفي في ١٩٧٩م ، ودُفن في مرادآباد (الهند) .

[٦] العالم الجليل ، والمحدث الألمعي ، مؤلف بذل المجهود في حل سنن أبي داود ، تُوفي ١٦/ ربيع الأول سنة ١٣٤٦هـ ودُفن بالبقيع ، أحد العلماء الصالحين وكبار الفقهاء والمحدثين .

[٧] الشيخ العلامة المحدث محمد زكريا الكاندهلوي ، له مؤلفات قيمة في علم الحديث ، وهو أجل من أن يذكر ، وأعظم من أن يثنى عليه ، توفي في ١/شعبان ١٤٠٢هـ المصادف ١٩٨٢م .

إلى منتهاه ، حتى وصل صيته إلى البلدان العربية ، ولا شك أنه محدث عظيم ، وأستاذ بارع في فنه ، وقف حياته كلها لخدمة الحديث الشريف ، فأبعد نفسه عن النشاطات الأخرى ، ومن عوامل شخصيته الأساتذة البارعون الذين أعدوه لخدمة الحديث الشريف ، فإنه وإن كان قد استفاد من الشيخ أسعد الله [1] وأساتذة جامعة مظاهر العلوم ، لكنه كان تلميذاً خاصاً للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، الذي رباه أحسن تربية حتى صار فريد زمانه ، وأسند إليه مشيخة تدريس الحديث الشريف (منصب علمي عال في المدارس الإسلامية الهندية) في ريعان شبابه نظراً إلى نبوغه العلمي ، رغم وجود أساتذته الكبار .

الشيخ محمد يونس وصلته بندوة العلماء :

وكان الشيخ محمد يونس يحب ندوة العلماء وأهلها ، وخاصة رجلها العظيم العلامة السيد أبا الحسن علي الحسني الندوي ، ولم يكن وراء ذلك إلا أن الشيخ محمد يونس ينتمي إلى جونفور ، وكانت في جونفور وما جاورها من المناطق جهود مشكورة للشيخ الداعية محمد أمين النصير الآبادي [2] ، وجد الشيخ أبي الحسن من جهة الأم : الشيخ السيد ضياء النبي الحسني [3] ، فكان الشيخ محمد يونس يعرفها ويقدِّرها ، وقد أخذ الشيخ محمد يونس إجازة الحديث الشريف من العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وسافر إلى ندوة العلماء رغم مهارته الحديثية ونبوغه في هذا الفن ، فاستجاز منه شهادة الحديث الشريف التي حصلت للشيخ الندوي من العلامة المحدث حيدر حسن خان التونكي والعلامة الشيخ عبد الرحمن المباركفوري (مؤلف تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي) ، فكان يحبه أساتذة وطلاب ندوة

---

[1] الشيخ أسعد الله رئيس جامعة مظاهر العلوم سابقاً ، وأستاذ الحديث فيها ، تُوفي في ١١/يونيو ١٩٧٩م .

[2] الداعية المصلح الشيخ محمد أمين النصيرآبادي ، من نصيرآباد ، رائي بريلي ، (الهند) ، من السادة الحسنية ، توفي سنة ١٣٤٩هـ المصادف ١٩٣١م .

[3] السيد ضياء النبي بن سعيد الدين آية من آيات الله ، وُلد بمدينة رائي بريلي ، كان عاكفاً على الذكر والعبادة ، لا يجد الراحة إلا في الصلاة ، تُوفي عام ١٣٢٦هـ .

العلماء ويسافرون إلى جامعة مظاهر العلوم للاستفادة منه حيناً لآخر . ومن خصائص الشيخ محمد يونس أنه كان يستزيد في هذا الفن رغم انهيار صحته وضعفه ، فكان يستطلع عن المحدثين في العالم الإسلامي، ويشد إليهم الرحال فيستفيد منهم ، ومما يدل على ذوقه العلمي أنه كان يشتري مؤلفات الحديث والسيرة النبوية المطهرة بميزانيته المحدودة ، فأعد مكتبة زاخرة بكتب الحديث وعلومه ، وقد اطلعنا على أنه وقف هذه المكتبة لجامعة مظاهر العلوم . وكما قال الشيخ سعيد الأعظمي الندوي (مدير دارالعلوم لندوة العلماء) : إن الشيخ محمد يونس كان كثير الاتباع لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت صلته بالحديث وطيدةً ، بحيث صار علم الحديث شغله الشاغل ، فلم ينصرف عن خدمته في حالتي الصحة والمرض ، حتى فارق الدنيا ولحق بالرفيق الأعلى ، وكان الشيخ محمد يونس يحضر باستمرار في مجالس الشيخ محمد زكريا ، وكان موثوقاً به، أخذ عنه التربية الروحية ، فاستفاد منه في هذا الجانب ، مع براعته العلمية ، وأخذ هذه التربية من أستاذه ومربيه الشيخ محمد أسعد الله (رئيس جامعة مظاهر العلوم الأسبق) ، فازدادت في قلب الناس محبته ، وكان قد حفظ أكثر أجزاء صحيح البخاري ، كما أنه كان يحفظ قسطاً كبيراً من أقوال المحدثين ، وينقلها عن ظهر قلب ، أخذ علم الحديث من الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي فأدى حقه وأوفاه . وكان أحد أعضاء أسرة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، وظل متصلاً بها إلى آخر حياته ، فكانت وفاته خسارة كبيرة لنجل الشيخ الكاندهلوي العالم الرباني محمد طلحة الكاندهلوي حفظه الله ورعاه .

تقبل الله تعالى ما قام الشيخ محمد يونس به من خدمات في مجال العلم والدعوة والتدريس ، ورفع درجاته ، وأعلى مكانته في الجنة والنعيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

جوانب بلاغية في سورة المائدة

بقلم : معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان *

٤٤ (إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذينَ أَسْلَمُواْ للَّذينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّانيُّونَ وَٱلأَحْبَارُ بمَا ٱسْتُحْفظُواْ من كتَاب ٱللَّه وَكَانُواْ عَلَيْهَ شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْن وَلاَ تَشْتَرُواْ بآيَاتى ثَمَناً قَليلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰئكَ هُمُ ٱلْكَافرُونَ) .

٤٥ (وَكَتَبْنَا عَلَيْهمْ فيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بٱلْعَيْنِ وَٱلأَنْفَ بٱلأَنْف وَٱلأُذُنَ بٱلأُذُن وَٱلسِّنَّ بٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ به فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بمَآ أنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰئكَ هُمُ ٱلظَّالمُونَ) .

٤٧ (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلإِنْجيلِ بمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فيه وَمَن لَّمْ يَحْكُم بمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰئكَ هُمُ ٱلْفاسقُونَ) .

آيات الكفر – والظلم – والفسق :

قدم الله سبحانه في ختام هذه الآيات الكفر أولاً لعظم الذنب فيه ولفت النظر إليه .

وجعل سبحانه الظلم ثانياً لمن لم يحكم بالعدل من القضاة بعد الرؤساء والمفتين ، حيث عبَّر أولاً بالنبيين وحل محلهم الملوك والرؤساء ، والربانيون والأحبار هم العلماء المفتون والمشرعون نواباً أو حكاماً ، وفي الآية الثالثة ، قال عنهم " أهل الإنجيل " وهم الأكثر فمن لم يحكم من الشعب والتابعين بذلك فهم فاسقون ، والفسق أقل من الكفر والظلم .

وهنا مسألة ، هل هذه الآيات تخص المسلمين في شيئ ؟ الجواب : نعم بالرغم مما ترجح عندي من أقوال الصحابة والمفسرين ، قال الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار قال : " وأخرج عبد بن حميد عن حكيم بن جبير أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى : ومن لم يحكم وذكر الآيات الثلاث ، قال : فقلت زعم قوم أنها نزلت على بني إسرائيل ولم تنزل علينا ، قال : فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال : لا بل نزلت علينا ثم لقيت مقسما مولى ابن عباس فسألته عن الآيات الثلاث ، قال : إنه نزل على بني

* وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً .

إسرائيل ونزل علينا ، وما نزل علينا وعليهم فهو لنا ولهم ، ثم دخلت على علي بن الحسين سلام الله عليه فسألته وذكر أنه ذكر له ما قاله سعيد ومقسم قال صدق " .

رأينا في الآيات :

أن ما يخص أهل الكتاب من صدر هذه الآيات فهو إخبار عنهم في كتبهم ، وأما ختام الآيات فهو يخص المسلمين بعد نسخ شريعة ودين اليهود والنصارى ، ولو كانت خواتم الآيات تعنيهم لقال (نزَّل) بالتشديد لكنه قال (أنزل) بالتخفيف وهو خاص بالقرآن ، لذا كان التفسير أن من حكم بالكفر أو أمر به أو شرع له فهو كافر ، ومن حكم بالظلم من القضاة وكل من كان على أمثالهم فهو ظالم ، وكل من رضي بالفسق ويحكم به فهو فاسق .

٤٩ (وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ) .

البلاغة في بعض ذنوبهم :

الإبهام في قوله (بعض) أطلق الجزء وأراد الكل ، لأن جميع الذنوب معاقب عليها إلا ما غفره الله ، قال المفسرون تأكيداً لما سقناه : إن الله سيعاقبهم على ذنوبهم كلها ، لكن بعضها في الدنيا بالقتل والأسر وإخراجهم من ديارهم لخيانتهم الله ورسوله ، وكفرهم وفسقهم ، أما الذنوب الأخرى ففي الآخرة أشد وأنكى .

لفاسقون :

هذه اللام تسمى المزحلقة تدخل على الخبر للتوكيد وسميت بذلك لزحلقتها المبتدأ .

٥٠ (أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) .

الاستفهام إنكاري وتعجب وتوبيخ ، وتقديم المفعول (حكم) لتأكيد التعجب ، والاستفهام الثاني إنكاري .

ختام الآية – لقوم يوقنون :

ذلك لا يعلم أن حكماً من الله أحسن من كل حكم إلا من أيقن أنه واحد حكيم عادل ، ولذلك عدل عن يعلمون .

٥٢ (فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ

فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عنده فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ).

عبَّر سبحانه عن العذاب النفسي في قلوب المنافقين بالمرض ، وعبَّر عن نزول القضاء والقدر بـ (تصيبنا دائرة من الدوائر التي تسيطر على الإنسان) .

٥٣ (وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ) .

اللام لام القسم مع ظرف مكان منصوب وجملة (إنهم لمعكم) لا محل لها جواب القسم ، وجهد مصدر في موضع الحال .

ختام الآية :

(فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ) وفيه فن الإغراب ، فخسرناهم دائم في كل وقت ، وبالغم أن كلمة أصبح تعبير شائع معروف لا يقصد منه الصبح ضد المساء ، ومعناها صاروا ، وهنا جاء الإغراب في تأويل اللفظ ، ولما كان العليل الذي بات مكابداً للآلام الشديدة ينتظر الصباح بفارغ الصبر فإذا أصبح مستريحاً رجى له الخير وغلب الظن على برئه وإفاقته من ذلك المرض، وعلى هذا تكون لفظة أصبحوا أفادت معناً حسناً جميلاً وخرجت عن كونها شيئاً غير مفيد ، والتفاؤل في الآية للخاسرين هو الندامة والهلاك .

يرتدّ :

٥٤ (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دينه فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

(يرتدّ) فيه إعلال بالحذف لمناسبة الجزم وزنه ينفع ثم يقول .

البلاغة :

الطباق بين أعزة وأذلة ، قال ابن القيم : لما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عده بأداة (على) تضميناً لمعاني هذه الأفعال حيث لم يرد به ذل الهوان الذي يذل صاحبه ، لذلك قال (أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ) (محمد) .

٥٥ (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) .

ختام الآية :

(وَهُمْ رَاكِعُونَ) هم مبتدأ وراكعون خبر ، وإن أعربت الجملة في

محل نصب حال ، فلا تدل على إعطاء الزكاة وإقام الصلاة حالة الركوع ، فالإنسان في حالة خشوع لا يجوز له الانشغال بغير الصلاة ، ولكن المقصود أن حال المصلين والمزكين أنهم سجد ركع لله يعني خاضعين له منيبين إليه وأقرب ما تكون صفة لهم .

٥٨ (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ) .

ختام الآية :

لا يعقلون ليس على حقيقته ، عندهم عقل في رأس كل واحد منهم ، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه ويرده عن الخطأ كما يعقل البعير عن القيام بالربط ، فهولاء مثلهم كمثل الذين (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ) .

٥٩ (قُلْ يَـٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) .

البلاغة :

توكيد المدح بما يشبه الذم : لما أتى بعد الاستفهام ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمناً تأكيد المدح بما يشبه الذم .

٦٠ (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ أُوْلَـٰئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ) .

البلاغة :

وضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى : من لعنه الله ، لتربية المهابة وتهويل اللعن .

والتهكم في قوله تعالى (مثوبة) تميز عادة تستعمل للخير من الإثابة ، وجاءت هنا في الشر للتهكم .

الكناية : في قوله (أُوْلَـٰئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً) أثبت الشرارة للمكان كنايةً لإثباتها لصاحبه مثل سلام على المجلس العالي ، وشر إسم تفضيل شاذ لأن اسم التفضيل يصاغ من الثلاثي (أنا أكثرُ منك مالاً) .

٦٢ (وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِى ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) .

البيان :

لفظة المسارعة إنما تستعمل في الخير ، ومنه قوله تعالى (يُسَارِعُونَ

فِى ٱلْخَيْرَاتِ) وذكرت في الآية هنا لفائدة ذلك أنهم كانوا يقدمون على هذه المفاسد والمنكرات كأنها خيرات في نظرهم ، فجاء التعبير القرآني موافقاً لحالهم .

لولا :

٦٣ (لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) .

لولا : أداة تخصيص بمعنى هلا ، فيها معنى التوبيخ .

١. تأتي حرف امتناع لوجود وتدخل على جملة اسمية ، مثل لولا زيد لأكرمتك .
٢. إذا ولي لولا ضميره نحو (لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) .
٣. تأتي أداة حض وتختص بالمضارع (لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ) (لَوْلآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ) .
٤. وتأتي للتوبيخ وتختص بالماضي نحو (لَّوْلاَ جَآءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَآءَ) .

ختام الآية :

(لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) هؤلاء المعنيون بالخطاب والنهي ليسوا من بسطاء الناس وعوامهم ولكنهم من مفكري القوم وصناع القرار ، وممن يلفقون الأقوال ويدلجونها ، ويتفنون في أكل الحرام ويسهلوه للناس ، لذلك ناسب أن يذم الله عملهم ويصفه بالصناعة .

٦٤ (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلأَرْضِ فَسَاداً وَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ) .

البلاغة :

المشاكلة : في قوله تعالى : (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) دعاء عليهم بالبخل المذموم والفقر والنكد .

الكناية : في قوله تعالى : (كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ) إيقاد النار كناية عن إرادة الحرب ، وإطفاؤها عبارة عن دفع شرهم .

الطباق : بين الإيقاد والإطفاء .

وليزيدن :

في الآية السابقة (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم .....) .

اللام لام القسم لقسم مقدر (يزيدن) مضارع مبني على الفتح في محل رفع و (النون) نون التوكيد .

٦٧ (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ) .

ختام الآية (الهداية) :

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ) قبل أن نجيب هنا على الآية يجدر بنا أن نبين ما هي الهداية :

١. الهداية العامة لجميع الخلق ، قال في سورة طه : (أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ) الإنسان والحيوان والطير والنبات إلخ .
٢. الهداية الخاصة بالمكلفين من البشر والجن ، قال الله تعالى : (وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ) أي طريق الشر وطريق الخير .
٣. هداية التوفيق : تأتي بالدعاء ، (ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) ، (ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ، (رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ) .
٤. هداية في الآخرة : (وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ) .

فالذين هداهم الله بهداية البيان الخاصة بالمكلفين واختاروا الخير والعمل الصالح والإيمان وكلما دعوا الله بهداية التوفيق زادهم الله وأعطاهم (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى) .

أما من اختار الشر والكفر والفسوق والعصيان وأصرَّ عليه فلا يستفيد من هداية التوفيق لأن الله لا يهدي القوم الكافرين ، وهذا ينطبق على ختام الآية التي معنا ومثلها كثير في القرآن الكريم .

٦٩ (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

الصابئون :

مبتدأ مرفوع معطوف على محل إن واسمها ، وقيل : مبتدأ مرفوع على نية التأخير خبره محذوف دل عليه خبر إن ، والصابئون قوم يخرجون من دين ولا يدخلون في دين آخر ، فمن آمن منهم وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) الفاء زائدة في الإعراب لمشابهة الموصول بالشرط (لا) نافية مهملة أو عاملة على ليس وخوف اسمها (و) عاطفة و (لا) زائدة لتأكيد النفي .

٧٠ (لَقَدْ أَخَذْنَا ميثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰٓ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ) .

البلاغة :

الالتفات البليغ في قوله تعالى (وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ) حيث جاء بصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها وللتنبيه على أن ذلك ديدنهم المستمر إلى اليوم .

٧١ (وَحَسِبُوٓاْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) .

الإعراب :

(عَمُواْ) فيه إعلال بالحذف أصله عميوا نقلت حركة الياء إلى الميم ثم حذفت لالتقاء الساكنين ، (كَثِيرٌ) عند سيبويه الواو دالة على الجماعة كما أن التاء دالة على التأنيث ، وبذلك تكون كثير فاعلاً ، (كان التامة) في (تكون) مضارع تام منصوب بلا النافية للجنس و (فتنة) فاعل (تكون) مرفوع ، وكان هنا بمعنى وجدتم بها وبمرفوعها الكلام أو المعنى فهي تامة ، ويعرب ما بعدها فاعلاً كقول الشاعر :

إذا كان الشتاء فأدفئوني فإن الشيخ يبرده الشتاء

البيان :

البيان في أسلوب الخطاب والتوجيه والدعوة إلى الإيمان وتحريك نوازع الخير حيث قال الله تعالى (لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ) ولم يقل كفر النصارى ، وفي ذلك بطلان لعقائدهم الفاسدة ، أما في ختام الآية فبين أن الذين يصرون على الكفر هم المعذبون فقط ، وهذا الأسلوب في هذا الخطاب من أروع الكلام .

٧٥ (مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ ٱلطَّعَامَ ٱنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلآيَاتِ ثُمَّ ٱنْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) .

صديقة : صفة مشتقة فهي مبالغة اسم فاعل من صدق .

البلاغة :

الكناية في (يَأْكُلاَنِ ٱلطَّعَامَ) كناية عن قضاء الحاجة ، (التكرير) في قوله (انظر) وذلك للمبالغة في التعجب .

٧٦ (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَٱللَّهُ هُوَ

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) .

مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً :

قدم الضرر على النفع هنا وفي مواضع أخرى قدم النفع على الضرر كما في سورة الأنعام والأنبياء ، ولما كان دفع الضرر أهم من جلب النفع في بعض المواضع ، فإذا تقدم سياق الملك والقدرة كان ذكر دفع الضر أهم ، وإذا كان السياق في الدعاء والعبادة والسؤال كان ذكر النفع أولى وأهم .

٧٨ (لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيۤ إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ) .

بما عصوا الباء حرف جر وما اسم موصول في محل جر ، عصوا فعل ماض وفاعله .

أفرد اللسان في قوله (عَلَىٰ لِسَانِ) مع أن بعده مثنى داود وعيسى ، فهو من حيث اللغة يجوز الإفراد ويجوز التثنية كقولك (قطعت طريق اللصين) ويجوز الجمع (قطعت طرق المارة)، وربما كان إفراده إشارة على الملك .

٨٩ (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيۤ أَيْمَانِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوۤاْ أَيْمَانَكُمْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ - طَعَامِ مِسْكِينٍ :

٩٥ (يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذٰلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنْتِقَامٍ) .

الآية الأولى تتعلق بكفارة اليمين (عَقَّدتُّمُ ٱلأَيْمَانَ) والآية الثانية تتعلق بعقوبة قتل الصيد للحرم ، تتعلق بالإنسان نفسه ، أما الثانية لم يوكله للشخص نفسه وإنما أوكله إلى حكومة من لجنة كالقضاة .

٩٣ (لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوۤاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ) .

لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ - لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ :

وقال في سورة النور (لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَة فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) ، وهناك آيات عدة ابتدأت الجملة بالاسم مثل ما جاء في سورة البقرة ١٥٨ (فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْه) في العبادة ، وكذلك في البقرة ٢٣٣ (وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) . وما جاء بالجملة الاسمية أقوى من الفعلية لأنها دالة على الثبوت ، والفعل يدل على الحدث والتجدد والوصف بالاسم أقوى وأدوم من الوصف بالفعل .

١١١ (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ آمَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) .

وقال في آل عمران (فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّه قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللَّه آمَنَّا بِٱللَّه وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) .

بأَنَّنَا - بأَنَّا :

أتت النون بخلاف آل عمران ، وذلك لوجود التفصيل أكثر في المائدة وزيادة في الآية .

١١٨ (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) .

ختام الآية :

وردت في القرآن آيات لم تختم بما يقتضيه السياق كالآية التي معنا وآية سورة الممتحنة (رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) مع طلب المغفرة في الآية ، ذلك أن مدار الطلب هو ألا يجعلهم فتنة للذين كفروا وهو قادر على ذلك والقدرة تقتضي العزة والحكمة ، أما آية المائدة فينظر إلى سياقها وما قبلها من الآيات ، فقد وردت بعد الكلام على التبرؤ من قولهم العظيم ، الافتراء على عيسى بأنه وأمه إلهان من دون الله ، انظر إلى الثلاث الآيات قبلها (أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّه قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ ٱلْغُيُوبِ) .

وذلك ما يناسب ختم الآية بالعزة والحكمة .

انتهت سورة المائدة .

الدعوة الإسلامية

على هامش الهجرة النبوية المباركة

بقلم : الشيخ الطاهر بدوي الجزائري*

لقد اختار العالم المسيحي ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام مبدأ لتاريخه ، وأما المسلمون ، فقد اتخذوا هجرة نبيهم ومنقذهم وباني أمجادهم مبدأ لتاريخهم الجديد مع أن التقاليد المألوفة عند الأمم الأخرى أن يؤرخ بولادة الزعيم أو وفاته أو ولايته . وكان فريق من العرب يؤرخون بعام " الفيل " وهو عام ميلاد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وقد رأى فريق من المسلمين أن يفعلوا ذلك ، ولكن جمهورهم اجتمع على " الهجرة " لأنها كما وصفها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، " فرق بين الحق والباطل " .

وأياً كان الأمر فقد كان المسلمون موفقين إلى الصواب في اختيارهم ، لأن الهجرة ، هجرة النبي وأتباعه ، وضعت المؤمنين أهل الحق في صف والمشركين ، أهل الباطل في صف آخر ، وحققت للمسلمين الذين كانوا قلة مضطهدة في " مكة " أن يقيموا في المدينة المنورة سلطة بل " دولة " حرة قوية استطاعت أن تنتصر على خصومها المشركين وتخضع لسيادة الإسلام مكة ثم جزيرة العرب ، وكتب لراياتها الظافرة بعد ذلك ، أن تنتصر على الإمبراطوريتين في تلك الأيام : دولة الفرس ودولة الروم " بيزنطة " .

وإذا كانت الأديان السماوية جميعاً تقوم على التراحم والتعاون والتكافل من غير أن ترسم لذلك كله تشريعات واضحة ، وحدودا صريحة ، وقوانين نافذة إذ تترك للنظم " الزمنية " القائمة تقرير الأصول ووضع التشريعات ، فإن الإسلام ينفرد من بين تلك الأديان بتنسيقه بين شؤون المادة وشؤون الروح وبين سلطات الدولة وتوجيهات الدين ، وبين العمل في الدنيا والاستعداد للآخرة ، وبنظم واضحة صريحة تتعادل فيها

* كبير علماء الجزائر .

الحقوق والواجبات ، ويتساوى فيها الجهد والجزاء وتكفل فيها ضمانات المعيشة المادية وضمانات العدالة القانونية .

والإسلام على هذا من خلال نظمه وتشريعاته هو دين التوحيد بين قوى الكون جميعاً ، ففيه تلتقي القيم الاقتصادية والقيم الخلقية ، ويتم التوازن بين أشواق الروح ومظاهر الحياة ، فلا عجب إذا بلغ الذروة من التسامي الروحي والقمة الشامخة من العدل الاجتماعي .

إن الأمة الإسلامية إذ تحتفل بميلاد السنة الهجرية الجديدة تدرك لا محالة أنها إذا رضيت بالقعود عن الجهاد في سبيل الله خوفاً على الحياة أو على المال أو على اللذائذ والمصالح والمتاع ، فإنها مهددة في عزها وسلطانها . والعذاب الذي يتهددها ليس عذاب الآخرة وحده فهو كذلك عذاب الدنيا ، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح ، والغلبة عليهم للأعداء ، والحرمان من الخيرات واستغلالها للمعادين . وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل ، فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء . . وفي هذا يقول جل علاه : " يٰا أَيُّهَا ٱلَّذينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قيلَ لَكُمُ ٱنفرُواْ فى سَبيلِ ٱللَّه ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلأَرْضِ أَرَضيتُمْ بِٱلْحَيَاة ٱلدُّنْيَا منَ ٱلآخرَة فَمَا مَتَاعُ ٱلْحَيَاة ٱلدُّنْيَا فى ٱلآخرَة إِلاَّ قَليلٌ . إِلاَّ تَنفرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَليماً وَيَسْتَبْدلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ " (التوبة : ٣٨/٣٩) . وما يحجم ذو عقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله إلا وفي هذه العقيدة دخل وفي إيمان صاحبها وهن . لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من مات ولم يغز ولم يحدّث نفسه بغزو مات على شعبة من شعب النفاق " .

ويضرب الله لنا معشر المسلمين من الواقع التاريخي الذي نحفظه ، على نصرة الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بلا عون من أحد ولا ولاء ، والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء . " إِلاَّ تَنصرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذينَ كَفَرُواْ ثَانىَ ٱثْنَيْن إِذْ هُمَا فى ٱلْغَار إِذْ يَقُولُ لصَاحبه لاَ تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكينَتَهُ عَلَيْه وَأَيَّدَهُ بِجُنُود لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلمَةَ ٱلَّذينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلمَةُ ٱللَّه هىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزيزٌ حَكيمٌ " . (التوبة : ٤٠) .

ذلك حين ضاقت قريش بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ذرعاً كما تضيق القوة الغاشمة دائماً بكلمة الحق ، لا تملك لها دفعاً ولا تطيق عليها صبراً فَأْتَمَرت به ، وقررت أن تتخلص منه ، فأطلعه الله على كيدها وأوحى إليه بالخروج ، فخرج وحيداً إلاّ من صاحبه الصديق لا جيش ولا عُدّة وأعداؤه كَثر ، والقوم على إثرهما يتعقبون والصديق رضي الله عنه يجزع لا على نفسه ولكن على صاحبه أن يطلعوا عليهما وهما في الغار (غار ثور) فيخلصوا إلى صاحبه الحبيب ، يقول له : " لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه " والرسول صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الله سكينته على قلبه ، يهدئ من روعه ويطمئن من قلبه فيقول : " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ " وكان ذلك على الراجح في اليوم الثاني من ربيع الأول الموافق ٢٠ أيلول سنة ٦٢٢م بعد أن مضى ثلاث عشرة سنة من البعثة .

وأما المشركون فقد أعمى الله أبصارهم حتى لم يحن لأحدهم منهم إلتفاتة إلى ذلك الغار ولم يخطر ببال واحد منهم أن يتساءل عما يكون بداخله . وكان النصر المؤزر من عند الله بجنود لم يرها الناس وكانت الهزيمة للذين كفروا والذل والصغار " وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " . ويعبر الإمام البوصيري رحمه الله عن هذه العناية الربانية بقوله :

فالصدق في الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأُطُم

ذلك مثل على نصرة الله لرسوله ولكلمته ، والله قادر على أن يعيده على أيدي قوم آخرين غير الذين يتثاقلون ويتباطأون . ولقد أدرك المؤمنون المخلصون دلالات قوله تعالى : " ٱنْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ " (التوبة : ٤١) وأدركوا هذا الخير العميم فنفروا والعوائق في طريقهم ، والأعذار حاضرة لو أرادوا التمسك بالأعذار ، ففتح الله عليهم القلوب والأراضين ، وأعز بهم كلمة الله وأعزهم بكلمة الله وحقق على أيديهم ما يعد خارقة في تاريخ الفتوح .

لقد كانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تعني نشأة أول دار إسلام إذ ذاك ، على وجه الأرض وقد كان ذلك إيذاناً بظهور الدولة الإسلامية بإشراف سيدنا محمد رسول الثقلين صلى الله عليه وسلم . ولذا فقد كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم أن أقام الأسس الهامة لهذه الدولة ولقد كانت هذه الأسس ممثلة في بناء المسجد ، والمؤاخاة بين المسلمين عامة والمهاجرين والأنصار خاصة وكتابة وثيقة (دستور) حددت نظام حياة المسلمين فيما بينهم وأوضحت علاقاتهم مع غيرهم بصورة عامة واليهود بصورة خاصة .

أجل ، إن من نظام الإسلام وآدابه أن ينصهر أشتات المسلمين في بوتقة من الوحدة الراسخة يجمعهم عليها حبل الله الذي هو حكمه وشرعه . ولكن ما لم تقم في أنحاء المجتمع مساجد يجتمع فيها المسلمون على تعلم حكم الله وشريعته ليتمسكوا بهما عن معرفة وعلم ، فإن وحدتهم تؤول إلى شتات ، وسرعان ما تفرقهم عن بعضهم الشهوات والأهواء. فمن أجل هذه المعاني كلها في مجتمع المسلمين ودولتهم الجديدة أسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل كل شيء ، فبادر إلى بناء المسجد بعد أن أكمل بناء شخصيات عُمَّارة وطهّر نفوسهم من كل الطواغيت . وفيه يقول جل علاه : " لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ . " ونهاه – وسلوكه تشريع لنا – أن يقوم في مسجد الضرار الذي اتخذ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيدة للإسلام والمسلمين والذي بناه المنافقون بجوار مسجد قباء إثر نصيحة هرقل ملك الروم إلى حميمه اللعين أبي عامر الذي بارز بالعداوة وظاهر بها منذ هزيمة الكفار ببدر المباركة . فإن هذا المسجد الذي فرغ منه أصحابه قبل خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، ما يزال يتخذ في صور شتى تلاَئِّم ارتقاء الوسائل الخبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين ، تتخذ في صورة نشاط ظاهره للإسلام وباطنه لسحق الإسلام ، أو تشويهه وتمويهه ، وتمييعه ، وتتخذ في صورة أوضاع ترفع لافتة الدّين عليها لتترُّس وراءها وهي ترمي هذا الدّين ، وتتخذ في صورة تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن

الإسلام لتخدر القلقين الذين يرون الإسلام يذبح ويمحق ، فتخدرهم هذه التشكيلات وتلك الكتب إلى أن الإسلام بخير لا خوف عليه ولا قلق .

ولتثق الأمة الإسلامية أن الله متم نوره ولو كره الكافرون ولكن ينبغي لها أن تعيد النظر في تربية أبنائها تربية أصيلة روحية وعلمية تتماشى مع متطلبات العصر الحديث ومبادئ الشرع الحنيف وتجعل من مؤسساتها التربوية والتكوينية بدءاً من المسجد إلى الجامعة ومعاهد البحث العلمي ، مصدر إشراق وأنوار وانفتاح لكل العلوم . . فينشأ الجيل متوازناً لا يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه .

إن أهمية أساس التآخي بين المسلمين الذي وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم عند مقدمه المدينة يظهر من وجوه : إن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها . ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة لكن على أساس العقيدة الإسلامية التي تضع الناس كلهم في مصاف العبودية الخالصة لله ، سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح . ثم إن هذا التعاون والتناصر في هذا المجتمع السليم قائمان طبق ميزان العدل والمساواة فيما بين الأفراد كافة . فمهما أرادت السلطة أن تحقق مبادئ العدالة بين الأفراد فإنها لا تتحقق ما لم تقم على أساس من التآخي والمحبة فيما بينهم .

لم يكن ما أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من مبدأ التآخي مجرد شعار في كلمة أجراها على ألسنتهم وإنما كان حقيقة عملية تتصل بواقع الحياة وبكل أوجه العلاقات القائمة بين الأنصار والمهاجرين . ولذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الأخوة مسؤولية حقيقية تشيع بين هؤلاء الإخوة . وكانت هذه المسؤولية محققة فيما بينهم على خير وجه . وحسبنا دليلاً على ذلك ما قام به سعد بن الربيع الذي كان قد آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمان بن عوف إذ عرض على عبد الرحمان بن عوف أن يشركه في بيته وأهله وماله في قسمة متساوية ، ولكن عبد الرحمان شكره وطلب منه أن يرشده إلى سوق المدينة ليشتغل فيها . ولم يكن سعد بن الربيع

منفردا عن غيره من الأنصار ، فاستحقوا بذلك الثناء من العزيز العليم الذي قال فيهم في محكم التنزيل : " وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلإِيمَانَ من قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ " . (الحشر : ٩) .

والأمة الإسلامية إذ تستقبل السنة الهجرية الجديدة تتأهب لاحتفال بعيد عاشوراء ، تحتفل به وتخالف في احتفالها اليهود الذين اتخذوه عيداً لهم منذ أن نجى الله موسى عليه السلام من قبضة فرعون اللعين . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا : يوم صالح نجَّى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى . فقال صلى الله عليه وسلم أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه . " وفي رواية لأحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود صوموا قبله يوما وبعده يوما " . . . وقد عزم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصوم العام القابل التاسع والعاشر من محرم الحرام فلم يأت ذلك الأجل حتى التحق بالرفيق الأعلى .

والسر هنا يكمن لا في صيام عاشوراء وإنما في كيفية صيام هذا اليوم ، كيفية تخالف اليهود . . ومخالفة اليهود تعني أنه يجب على الأمة الإسلامية أن تتفطن إلى خداع اليهود وأعوانهم الذين يستهدفون الإسلام قبل كل دين ، لأنهم يعرفون من تاريخهم كله أنهم لم يغلبهم إلا هذا الدين يوم كان يحكم الحياة ، وأنهم غالبوا أهله طالما أهله لا يحكمونه في حياتهم مع توهمهم أنهم ما يزالون مسلمين مؤمنين بالله . . . فهذا التخدير بوجود الدين وهو غير موجود في حياة الناس ، ضروري لتنجح المؤامرة أو يأذن الله فيصحوا الناس . . . وقد آن للمسلمين أن يفقهوا الإسلام ويعوا ما فيه ويتمثلوه في كل ناحية ويجسدوه بالعلم والعمل تحت قيادة واحدة حتى ترتفع أعلامه ويدخل الناس في دين الله أفواجاً .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ، وما ذلك على الله بعزيز .

علاقة الشعر الجاهلي بالقرآن الكريم
وخطورة الطعن فيه

الأستاذ محمد نعمة الله إدريس الندوي[1]

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الغرّ الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فخلال تجوالي بين المراجع والمصادر لدراسة الشواهد الشعرية في تفسير الطبري ، استرعى انتباهي ما كتبه أو قاله الباحثون والمهتمون بالدراسات الأدبية واللغوية بخصوص الشعر الجاهلي وعلاقته القوية بكتاب الله العزيز ، وكيف أرادت الجهود المريبة ضرب هذه العلاقة للفصل بين لغة العرب ولغة القرآن الكريم . فمن المعلوم أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، وخير ما يمثل هذه اللغة هو الشعر الجاهلي الذي سبق نزول القرآن الكريم أو عاصره . فأحببت أن أدرس الموضوع بشيء من التفصيل ، ومن ثمّ أنشره لتعميم الفائدة والإسهام في تحقيق الإنصاف للشعر الجاهلي الذي لا يمكن الاستغناء عنه لمن أراد أن يتفهّم القرآن الكريم أو يتصدر لتفسيره ، أو يوازن بين لغة القرآن ولغة العرب المعروفة بالفصاحة والبلاغة . فإنّ أكثر ما بقي من أدب العرب الأولين وعلمهم ، بقي متمثلاً في الشعر دون النثر ، حسب ما قاله إمام العربية والرواية أبو عمرو بن العلاء . وفي الوقت نفسه أودّ أن يجد في هذا البحث المتواضع ، الجواب ، من لا يزال يستغرب ويتساءل هل فعلاً هناك علاقة لا يستهان بها بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم .

وفي البداية وقبل أن أخوض خضم الموضوع ، يلزمني أن أمهّد له ببيان وجيز لمنزلة الشعر والشعراء لدى العرب .

مكانة الشعر والشعراء عند العرب :

فقد عرف العرب من خلال شعرهم ببحوره وأوزانه وموسيقاه وقوافيه ، وجدوا فيه متنفساً كبيراً لمشاعرهم وأحاسيسهم ، فاتخذوه مرسماً يرسمون به واقعهم وأحلامهم وآلامهم وأمجادهم وأخلاقهم .

[1] الإمارات العربية المتحدة .

وبذلك بلغ الشعر عندهم من المنزلة شأوًا عظيماً ، فهو المصوِّر لآمالهم وآلامهم ، وله كبير الأثر في توجيه مشاعرهم وأهوائهم ، كما أصبح المرجع الموثوق به لأساليبهم البلاغية والبيانية ، والمصدر الأصيل لمفرداتهم اللغوية وطرقهم التعبيرية ، وشكّل السجل الخالد الذي نقل لنا علوم العرب ومآثرها .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر عرفنا الشعر بأنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها . فإنهم في جاهليتهم احتالوا في تخليدها بأن اعتمدوا في ذلك على الشعر ، وما تولد هذا الاهتمام بالشعر في نفوسهم إلا بعد أن أحاطوا بدوره ومكانته في حياتهم . إذن الشعر هو ديوان تسجيل من لا تسجيل له ، لجأت إليه العرب حين لم تشتهر الكتابة ؛ وذلك لتخليد المآثر والأحداث وما يستجد لها من أمور عظام ، بما فيه من أثر على القلب ، ومن سحر يغلب على الوجدان ، ومن نغم يساعد على الحفظ ، فقام الشعر عندهم مقام الكتابة ، قبل أن تتفشى الكتابة بينهم . وحقاً قيل : إن الشعر ديوان العرب ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه " [1] . ويقول ابن سلام الجمحي : " وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون وإليه يصيرون " [2] .

ويقودنا الحديث عن الشعر إلى الحديث عن مكانة الشاعر في المجتمع الجاهلي ، فهو صوت قومه ورائدهم ينطق بلسانهم ويتحدث بلغتهم ويعيش قضاياهم ويدافع عنها ، وباختصار كان منهم ولهم ، صدقهم القول وصدقوه المشاعر والتجاوب .

فكان البدوي إذا نبغ شاعراً في القبيلة احتفل أفرادها به وتناقلوا أخباره وتباهوا به على القبائل الأخرى ، وأتت النساء يلعبن بالمزاهر ، ويتباشر الرجال والولدان ، وكانوا لايهنئون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ ، أو فرس تنتج . يذكر أحمد حسن الزيات أن القبيلة " إذا نبغ فيها الشاعر تصنع الولائم وتقيم الأفراح وتهنئها القبائل ، وذلك لأن الشعراء يقودون قومهم بقولهم ، وينضحون عنهم يوم حفلهم ، ويخلدون مآثرهم

---

[1] طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة ، ١/٢٤ .

[2] نفس المصدر السابق ١/٢٤ .

على الدهور ، وينقشون مفاخرهم في الصدور ، لا يبتغون على ذلك جزاء ولا صلة "[1] .

وكانت القبائل العربية تُحضر فحول شعرائها في الأسواق المشهورة التي تقام في أماكن معينة ومواعيد معروفة للمُنَافرة أو المفاخرة . وكان الشعراء لفرط عنايتهم بالشعر وتنافسهم في إجادة نظمه ، وسعيهم لحيازة قصب السبق في إبداع قصائده ، يحرصون على عرضه في هذه الأسواق على نظر نوابغ الشعراء الذين اتخذوهم حكاماً على قصائدهم ، فكان النابغة الذبياني يعقد له المجلس بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء ليحكم بينهم في الخصومات الأدبية ، فيعرضون عليه أشعارهم ، فيقضي بينهم موفق القضاء مطاع الحكم [2] . وهذا يفسر إعجاب العرب بالمعلقات أو المذهبات ، وهنّ على الرأي الغالب سبع قصائد اختارتها القبائل فكتبتها بماء الذهب ، ثمّ علقتها بالكعبة إشادة بذكرها .

وبسبب هذه القيمة السامية للشعر ، جعلوا الشاعر أعلى درجة من الخطيب ، على الرغم من خطورة وجلال الخطيب . " فلا بدع إذا كان الشاعر يغويهم ويرشدهم ، والبيت يقيمهم ويقعدهم . والأمثال في التاريخ مستفيضة على تأثير الشعر في نفوسهم ومنزلة الشاعر في قلوبهم ، كحديث الأعشى مع المحلّق وحسّان مع بني مدان ، والحطيئة مع بني أنف الناقة "[3] . وأكتفي هنا بذكر قصّة الحطيئة ؛ لنرى كيف أسهم بشعره في رفع شأن بني أنف الناقة :

فهؤلاء أولاد جعفر بن قريع بن كعب الذين عرفوا ببني أنف الناقة ، كانوا يأنفون من هذا اللقب فهو سبّة عليهم حتى إذا مدحهم الحطيئة بقوله :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنب

صار اسمهم شرفاً لهم ، وصاروا بعد ذلك يزهون به بعد أن كان سبب استحياء [4] .

---

[1] تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٣٦ ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٨ / ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤ م . وانظر كذلك : وجواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمي ٢/ ٢٦ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط/ ١٤٣٢ – ٢٠١١م .

[2] انظر : نفس المصدر السابق ص ٥١ .

[3] انظر: نفس المصدر السابق ص ٣٠ .

[4] انظر : الأغاني للأصفهاني ، ١٨١/٢ ، نقلاً عن مقال فوزي عمر الحداد حول مكانة الشعر عند العرب في موقع المختار الإسلامي .

الارتباط الوثيق بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم :

جرت سنة الله تعالى في إرسال الرسل عليهم الصلاة و السلام أن تكون كتبهم بلسان قومهم ، كما قال الله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " [1] . فجرياً على هذه السنة كان الكتاب الذي أنزل على نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلّم بلسان عربي مبين ، حيث قال الله سبحانه وتعالى : " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " [2] . وكان من الطبيعي أن تصبح لغة العرب من أهم المصادر التفسيرية لفهم كتاب الله وكشف معانيه وشرح غوامضه . " والمفسرون يشترطون في تلك اللغة التي يفسّر بها القرآن الكريم الشهرة والاستفاضة ، ولم تكن تلك اللغة المستفيضة المشتهرة سوى اللغة التي عرفت بتتبع شعر العرب ، الذي لا يزال محفوظاً مرويّاً ، وهو ديوان مفاخر العرب ، وسجلّ علومها وعاداتها " [3] .

فإن الشعر العربي مخزن اللغة العربية ، فبه يعرف طرق العرب في الخطاب ووجوه تفننهم ، ويُعد المرجع الموثوق به لأساليبهم البلاغية والبيانية ، والمصدر الأصيل لمفرداتهم اللغوية وطرقهم التعبيرية ، فضلاً عما يحويه من مآثر العرب ومفاخرها ، وأحداث أيامها ووقائعها .

فالشعر وخاصة الشعر الجاهلي هو الوثيقة الرسمية الأولى التي يستدل بها على معاني الألفاظ وخواص التراكيب اللغوية ، ولذلك أصبح أحد مصادر دراسة اللغة العربية بعامة والقرآن الكريم بخاصة . فتوثقت العلاقة بين الشعر وتفسير كتاب الله منذ العصر الأول ، وصار مرجعاً معتمداً له . وهذا الذي يؤكده الشاطبي في موافقاته قائلاً : " إن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة ، فطَلَبُ فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة ، لأن الله تعالى يقول : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) [4] ، وقال : (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [5] ، وقال : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ

---

[1] سورة إبراهيم : ٤ .
[2] سورة يوسف : ٢ .
[3] انظر : ملخص رسالة الدكتوراه بعنوان : " الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم " للدكتور عبدالرحمن الشهري في موقع ملتقى أهل التفسير في الإنترنت ، باختصار وتصرف .
[4] سورة يوسف : ٢ .
[5] سورة الشعراء : ١٩٥ .

وَعَرَبِيٌّ) [1] ، إلى غير ذلك مما يدل على أنّه عربيّ وبلسان العرب ، لا أنّه أعجميّ ولا بلسان العجم ، فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم ، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة " [2] .

ولأجل ما مضى من القول ، نجد المفسرين من الصحابة ومَنْ بَعدَهم يرجعون في فهم حروف القرآن إلى الشعر الجيد المحفوظ ؛ ليتبينوا منه ما خفي عليهم منها . فكان لحبر الأمّة ابن عبّاس رضي الله عنهما اليد الطولى في تفسير معاني القرآن بالشعر والاستشهاد به على غريبه ومفرداته ، وكان يقول : « الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله تعالى بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه » [3] . وكان رضي الله عنه يحثّ الناس على الاهتمام بالشعر وتعلمه ، ليكون معيناً لهم في إيضاح ما غمض من ألفاظ القرآن وكلماته قائلاً : " إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب " [4] .

ولا يصعب علينا إدراك مدى الاهتمام باستخدام الشعر لتفسير القرآن الكريم بدءاً من عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وذلك من خلال كلام ابن عباس رضي الله عنه الذي مرّ علينا . وكان رضي الله عنه هو المثل الذي اقتدى به العلماء من بعده في هذا المضمار ، إذ كان يقول : « الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله تعالى بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه » [5] . وقصته مع نافع بن الأزرق المعتزلي – الذي ناقشه في تفسيره القرآن الكريم ، ليأتي بمصادقة من كلام العرب – لا يكاد يخلو منها مصنف في علوم القرآن ، فقد أجاب ابن عباس رضي الله عنهما عن جميع أسئلته بشواهد شعرية ، وكان من بينها سؤال عن قوله تعالى : (عَنِ

---

[1] سورة فصّلت : ٤٤ .
[2] الموافقات : ٢/ ٣٠٥ .
[3] الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، ص ٨٤٧ ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة .
[4] نفس المصدر السابق ص ٨٤٧ و ٨٤٨ .
[5] جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، ص ٨٤٧ ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة .

ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ) [1] ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما فيه : عزين هي حلق الرفاق . قال نافع : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص يقول :

فجاؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

ويمضي نافع يسأل وابن عباس رضي الله عنهما يفسّر ويستشهد على تفسيره ببيتٍ من الشعر حتى وصل استشهاد ابن عباس إلى مأتين وخمسين موضعاً من القرآن الكريم . وقد استوعب جلّ هذه المسائل السيوطي في إتقانه [2] ، ثمّ نشرها الدكتور إبراهيم السامرائيّ .

وأورد صاحب الكشاف أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تساءل عن معنى قوله تعالى : " أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ " [3] ، فقام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا يا أمير المؤمنين ! التخوّف : التنقص . قال عمر رضي الله عنه : فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي :

تخوَّف الرحلُ منها تامكا قردَا كما تخوَّف عودَ النبعة السَّفَنُ

فقال عمر : أيها الناس ! عليكم بديوانكم شعر الجاهلية ؛ فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم [4] .

خطورة الطعن في الشعر الجاهلي و الدفاع عنه :

ولأهمية الشعر الجاهلي في التفسير اللغوي للقرآن الكريم وعناية العلماء بالوثيقة المعتمدة للغة العرب التي نزل بها القرآن ، رأى المستشرقون وعلى رأسهم البريطاني ديفيد صمويل مرجليوث أن يطعنوا في الشعر

---

[1] سورة المعارج : ٣٧ .

[2] انظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٨٤٨ فما بعدها . روى مسائل ابن الأزرق ، الطبراني في معجمه الكبير بإسناد ضعيف جداً ، كما أشار إليه المحققون في حاشية الإتقان . ولكن قال أبو مالك العوضي : إن أصل المسائل ثابت وإن كان الإسناد لا يوثق به ، عند تعليقه على كتاب الدكتور عبدالرحمن الشهري : " الشاهد الشعري في القرآن الكريم " ، وقد نشر التعليقات في الإنترنت بعد موافقة الدكتور عليه .

[3] سورة النحل : ٤٧ .

[4] انظر : الزمخشري ، الكشاف ص ٥٧٤ ، تخريج وتعليق خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط/١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م . وانظر كذلك : بحث الدكتور كامل أنور سعيد ، جامعة المدينة العالمية ، ماليزيا ، وهو منشور في الإنترنت بعنوان : " الاستشهاد بالشعر " .

الجاهلي ؛ ليزعزعوا به ثقة الناس في التفسير المستشهد عليه بالشعر ، وما قاله العلماء المفسرون في توضيح معاني القرآن ومفرداته مستندين إلى الشعر .

وكانت هذه الخطوة بادرةً خطيرةً جداً لفصل لغة القرآن الكريم عن لغة العرب التي كانوا يعتزون بها ويُعتبرون فيها أرباب الفصاحة والبلاغة ، فتحداهم القرآن الكريم لأن يأتوا بمثله . " والتحدي لا يتحقق بين الأطراف المتقابلة إلا باستعمال نفس الأدوات ، فالمكانة التي نالها القرآن بين أصحاب الفصاحة وأهل البلاغة كانت أهم أسبابها تتمثل في اللغة المشتركة بين القرآن وبينهم ، أما إذا كانت حروف القرآن من نوع آخر فالقضية تكون سالبة بانتفاء محملها " [1] .

ثمّ هؤلاء لم يخرّوا ساجدين أمام إعجاز القرآن في نظمه وفصاحته وبلاغته ، إلا لما كانوا يمتازون بالذوق السليم المبني على الشعر الذي " كان علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه " [2] ، كما قاله عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه . فقصّة الوليد بن المغيرة معروفة حين سمع النبي صلى اللّه عليه وسلّم يتلو من سورة النحل فقال : " واللّه ! إن له لحلاوة . وإن عليه لطلاوة . وإن أعلاه لمثمر . وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه . وإنه ليحطم ما تحته . وما يقول هذا بشر " [3] .

فقد كتب مرجليوث دراسة عن الشعر الجاهلي بعنوان "The Origins of Arabic Poetry" ، ونشرها في يوليو ١٩٢٥م بـ "Journal of Asiatic Royal Society" ، مدعياً فيها أن الشعر الجاهلي مشكوك في صحة نسبته إلى قائليه ، وكلّه منتحل ومكذوب فيه ، قد وضعه الرواة وخاصة حماد الراوية في العصر العباسي ونسبوه إلى شعراء موهومين ليس لهم وجود تاريخي .

والغريب في الأمر أن أديباً عربياً مشهوراً منسوباً إلى المسلمين وهو الدكتور طه حسين قد تبنى هذه الفكرة – كما أشرنا إليه فيما سبق –

---

[1] من مقال عبدالله بدر إسكندر المالكي في موقع الأدب العربي بعنوان : " أثر الشعر في التفسير " .

[2] ابن سلام الجمحي ، طبقات الشعراء ص ١٠ ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت .

[3] أخرج القصّة الحاكم في المستدرك والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس رضي اللّه عنهما .

بعد صدور مقال مرجليوث بعدة أشهر وأذاعها بين الناس عن طريق كتابه : " في الشعر الجاهلي " ، منكراً الشعر الجاهلي برمته على خلاف ما كان يعتقده من قبل ، بالإضافة إلى تكذيبه القرآن الكريم والعياذ بالله [1] .

ولكن كان الأدباء المسلمون الغيارى له بالمرصاد ، فتسابقوا في الرد عليه وإبطال نظريته الماكرة المسروقة . وكان من أجود ما ألف في هذا الباب هو كتاب " تحت راية القرآن " لمصطفى صادق الرافعي . كما كان لصنيعة طه حسين ردود فعل إيجابية أخرى ذكرها الدكتور عبد الرحمن الشهري فقال : " والحقيقة كان في الكتابات التي كتبها طه حسين خير ؛ لأن الناس كانوا لا يعتنون بالشعر الجاهلي فلما قال ما قال ، كتبت عشرات الرسائل وحققت مئات الدواوين الجاهلية ، وبدأ العلماء يهتمون بها وينقبون عنها ويستخرجونها ، وكانوا قبل ذلك لا يعتنون بها ، ولم يكن قبل ذلك يعتني بالدواوين إلا المستشرقون ، لكن عندما قال هذه الكلمة بدأ العلماء : أحمد شاكر وتلاميذه ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وحقق ديوان امرئ القيس تحقيقاً رائعاً ، ثم بدأت تتوالى بعد ذلك التحقيقات ؛ ولذلك انظروا إلى دواوين الشعر الجاهلي بالذات حظيت بعناية رائعة جداً ؛ ردة للفعل ، وأفضل كتاب كتب بعد ذلك جرّاء آثار هذه التشكيكات كتاب : (مصادر الشعر الجاهلي وقيمته التاريخية) لـ أ . د ناصر الدين الأسد (أردني) ، وهذا الكاتب هو من تلاميذ طه حسين ، وقد رد عليه في هذا الكتاب رداً علمياً رائعاً ، ليس رداً مباشراً ، وإنما أثبت فيه موثوقية الشعر الجاهلي وبأدلة علمية من أقوى ما يكون ، وهو من الكتب المقررة في كليات اللغة العربية ، وهو كتاب مشهور جداً " [2] .

شبهة وردّها :

كان هناك من الرواة من يتزيد في الأشعار ، لغاية في نفسه ، غير أن هذا لا يصحّ أن ينسحب على معظم ما وصلنا من الشعر . وما يقال : إنّ

---

[1] انظر لتفصيل سرقة الفكرة : دراسة مستفيضة لإبراهيم عوض بعنوان : " نظرية طه حسين في الشعر الجاهلي : سرقة أم ملكية صحيحة ؟ " في موقع ملتقى أهل التفسير .

[2] في قصة رسالته للدكتوراه بعنوان " الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم " وهي مطبوعة ومتداولة .

الانتحال قضية قديمة لم يكن أول من قال بها الدكتور طه حسين ، وإنما سبقه إليها بقرون محمد بن سلاّم الجمحي (ت ٢٣١هـ) الذي عزا أسباب الانتحال إلى عاملين أساسيين هما : العصبية القبلية والرواة الوضاعين . ولكن هناك خلط ومغالطة في استيعاب الموضوع ، فمحمد بن سلاّم عالم كبير من علماء الشعر ، ولا شكّ إنّه يقول عن الشعر الجاهلي فيه منحول كثير ، ولكنّه في نفس الوقت يقرّ بأنّ جزءاً كبيراً منه صحيح ثابت ، وهو الذي رواه ممّا نقل إلينا منه في المعلّقات والأصمعيّات والمفضّليات .

فلم يكن من ابن سلاّم إلا أنّه فعل مع الشعر الجاهلي كما يفعل المحدّثون مع الأحاديث ؛ إذ يميّزون الثابت الصحيح من الموضوع المكذوب ، وعلى نفس المنوال سار ابن سلاّم في الشعر الجاهلي فأنكر منه ما هو منتحل موضوع ، وأثبت ما هو ثابت منسوب . فشتّان بين صنيع هذا العالم المتبحر في الشعر وصنيع الدكتور طه حسين الذي أنكر الشعر الجاهلي بأكمله دون استثناء ، اقتداءً بأستاذه ديفيد صمويل مرجليوث .

خلاصة القول :

بعد هذه الجولة السريعة عن الشعر الجاهلي ، وما يربطه بالقرآن العظيم ، وما أثير حوله من شبهة الانتحال ، توصّلنا إلى أنّ الشعر الجاهلي يشكّل مصدراً ثرّاً لإثبات إعجاز القرآن الكريم في نظمه وفصاحته وبلاغته ؛ لأنّ أصحاب الذوق الرفيع ممن تملّكوا ناصية الكلام ، هم الذين شهدوا بمنزلة القرآن وتفوّق أسلوبه . وكذلك عرفنا أنّ الشعر الجاهلي يعتبر كنزاً لا ينفد ولا يمكن تجاهله لمن يريد أن يتمكّن من معرفة دقائق اللغة وأسرارها ويستكمل آلته للتفسير . كما تبيّن لنا أنّ قضية الانتحال كانت ذات أبعاد خطيرة ، أريد من خلالها النيل من تحدّي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله ، حيث نزل بلغتهم التي كانوا يمتازون ويفتخرون بها بين الأمم ، فإذا انتفى عنهم ما هو مصدر اعتزازهم وافتخارهم في فصاحة اللسان وبلاغة القول ، وهو الشعر الجاهلي ، انتفى معنى التحدّي الذي جاء به القرآن ، وكأنّهم أرادوا بذلك زرع الشكوك في القلوب وإثارة الريبة في النفوس في مصداقية القرآن نفسه . والعياذ بالله .

وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

دراسات و أبحاث

أثر تولي القضاء في حفظ الحديث وضبطه

(الحلقة الرابعة الأخيرة)

د. ولي الدين تقي الدين الندوي *

المطلب الثالث : موقف الإمام أبي داود والإمام الترمذي من روايات ابن أبي ليلى.

قمت في المطلب السابق بدراسة بعض أحاديث ابن أبي ليلى من خلال كتب " العلل " ، بيّنت فيه أخطاءه من أوجهٍ مختلفةٍ ، وفي هذا المطلب سأقوم ببيان موقف الإمام أبي داود والإمام الترمذي من أحاديث ابن أبي ليلى من خلال سننهما لأن من عادتهما بيان حكم الحديث على الأغلب .

أولا : موقف الإمام أبي داود : أوضح لنا الإمام أبو داود منهجه في كتابه " السنن " في " رسالته إلى أهل مكة " فقال : وليس في كتاب السنن الذي صنّفته عن رجل متروك الحديث شيء ، وإذا كان فيه حديث منكر بيّنت أنه منكر وليس على نحوه في الباب غيره . . . . وقال أيضا : وما كان في كتابي من حديث فيه وَهَنٌ شديدٌ فقد بيّنتُه ومنه مالا يصح سنده وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح وبعضها أصح من بعض [1] .

نلاحظ من خلال دراستنا لأحاديث ابن أبي ليلى أن الإمام أبا داود إذا لاحظ خطأ بينه وإلا سكت عن حديثه .

١-الإمام أبوداود بيّن الخطأ : أخرج الإمام أبو داود ثمانية أحاديث من طريق ابن أبي ليلى ، ووجدالخطأ في واحد منها . من ذلك أخرج أبو داود من طريق وكيع عن ابن أبي ليلى ، عن أخيه عيسى ، عن الحكم ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، عن البراء بن عازب ، قال : "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه حين افتتح الصلاة ، ثم لم يرفعهما حتى انصرف " ، قال أبو داود : هذا الحديث ليس بصحيح [2] .

قلت : لأن في هذا الحديث علتين : العلة الأولى : محمد بن أبي ليلى اضطرب في إسناد هذا الحديث فمرة قال : عن عيسى والحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، ومرة قال : عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي

---

* أستاذ الحديث الشريف وعلومه ، بكلية الدراسات الاسلامية والعربية بدبي ، دولة الإمارات العربية المتحدة .

[1] " رسالة الإمام أبي داود إلى أهل مكة " .

[2] " سنن أبي داود " (٧٥٢) .

ليلى [1] .

وقد أشار الإمام البخاري في " رفع اليدين " [2] إلى ترجيح القول الأخير وهو أنه من روايته عن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهكذا وقع في كتاب ابن أبي ليلى .

قال عبدالله بن حنبل : سألت أبي عن حديث البراء بن عازب في " الرفع " فقال : حدثنا محمد بن جعفر غندر قال : حدثنا شعبة عن يزيد بن أبي زياد قال : سمعت بن أبي ليلى يقول : سمعت البراء يحدث قوما فيهم كعب بن عجرة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح الصلاة رفع يديه ، قال أبي : وكان سفيان بن عيينة يقول : سمعناه من يزيد هكذا ، قال سفيان : ثم قدمت الكوفة قدمة ، فإذا هو يقول : ثم " لم يعد " ، حدثني أبي عن محمد بن عبدالله بن نمير قال : نظرت في كتاب بن أبي ليلى فإذا هو يرويه عن يزيد بن أبي زياد . قال أبي : وحدثناه وكيع سمعه من ابن أبي ليلى عن الحكم وعيسى عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى ، وكان أبي يذكر حديث الحكم وعيسى ويقول : إنما هو حديث يزيد بن أبي زياد كما رآه بن نمير في كتاب بن أبي ليلى ، قال أبي : ابن أبي ليلى كان سيىء الحفظ ، ولم يكن يزيد بن أبي زياد بالحافظ " [3] .

ووضّحه الإمام البخاري بقوله : وإنما روى ابن أبي ليلى هذا من حفظه ، فأما من حدّث عن ابن أبي ليلى من كتابه فإنما حدّث عن ابن أبي ليلى عن يزيد ، فرجع الحديث إلى تلقين يزيد ، والمحفوظ ما روى عنه الثوري وشعبة وابن عيينة قديما [4] .

والعلة الثانية : أن يزيد بن أبي زياد أدرج لفظ " لم يعد " في آخر الحديث وهو خطأ ، كما أشار إليه البخاري بقوله : وكذلك روى الحفاظ من سمع من يزيد بن أبي زياد قديما منهم الثوري ، وشعبة ، وزهير ليس فيه : " ثم لم يعد " [5] .

٢- سكوت الإمام أبي داود عن رواية ابن أبي ليلى لأنه لم يلاحظ فيها خطأ.

من ذلك ما أخرجه أبو داود من طريق عبدالله بن داود ، عن ابن أبي ليلى ،عن ثابت البناني ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، قال : صليت

---

[1] " السنن الكبرى " للبيهقي (٢/ ٧٧) .
[2] " قرة العينين برفع اليدين في الصلاة " (ص : ٣٠) .
[3] " العلل ومعرفة الرجال " لأحمد رواية ابنه عبدالله (١/ ٣٦٨) .
[4] " قرة العينين برفع اليدين في الصلاة " (ص : ٣٠) .
[5] " قرة العينين برفع اليدين في الصلاة " (ص : ٢٩) .

إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة تطوع ، فسمعته يقول : " أعوذ بالله من النار ، ويل لأهل النار " [1] .

فقد سكت عنه الإمام أبو داود ، قال المنذري في " مختصر سنن أبي داو " : وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو ضعيف الحديث [2] .

ثانيا : موقف الترمذي من روايات ابن أبي ليلى :

روى الإمام الترمذي من طريق ابن أبي ليلى (٢١) رواية ، وكان موقفه منها كالآتي :

١- حكم الترمذي على روايته على أنه " حسن وصحيح " من ذلك ما أخرجه الترمذي من طريق حفص بن غياث وعقبة بن خالد قالا : حدثنا الأعمش ، وابن أبي ليلى ، عن عمرو بن مرة ، عن عبدالله بن سلمة ، عن علي قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئنا القرآن على كل حالٍ ما لم يكن جنبا " . قال أبو عيسى : حديث علي حديث حسن صحيح .

قلت : حكم الترمذي هذا جاء بناء على وجود متابع لابن أبي ليلى وهو الأعمش وغيره ، لأن الحديث أخرجه الحميدي (ح٥٧) من طريق مسعر وابن أبي ليلى وشعبة ، وأحمد (٨٣/١ ، ٨٤) وأبوداود (٢٢٩) وابن ماجه (٥٩٤) والنسائي (٢٦٥) كلهم من طريق شعبة ، والنسائي (٢٦٦) من طريق الأعمش ، أربعتهم (مسعر ، ابن أبي ليلى ، شعبة ، الأعمش) عن عمرو بن مرة به .

٢- حكم الترمذي على روايته على أنه "حسن " : من ذلك ما روى الترمذي من طريق حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " . ثم أشار الترمذي إلى شواهد لهذا الحديث فقال : وفي الباب عن أبي هريرة والأشعث ابن قيس والنعمان بن بشير قال أبو عيسى : هذا حديث حسن [4] .

حسّنه الترمذي بناء على وجود شواهد لهذا الحديث ، ومن هذه الشواهد حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه الترمذي في نفس الباب ، قال الترمذي فيه : هذا حديث صحيح [5] .

٣- حكم الترمذي على رواية ابن أبي ليلى بالغرابة فقط : وقد روى الترمذي

---

[1] " سنن أبي داود " (٨٨١) .

[2] " مختصر المنذري (٣٠٩/١) " والحديث أخرجه ابن ماجه (١٣٥٢) والبيهقي (٤٤٠/٢) (ح٣٦٩٠) وأحمد (١٩٠٥٥) من طرق أخرى عن ابن أبي ليلى .

[3] " سنن الترمذي " (١٤٦) .

[4] " سنن الترمذي " ت بشار (١٩٥٥) باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك .

[5] " سنن الترمذي " (١٩٥٤) .

حديثاً طويلاً بطريق محمد بن عمران بن أبي ليلى قال : حدثني أبي قال : حدثني ابن أبي ليلى ، عن داود بن علي هو ابن عبدالله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته : " اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي ، وتجمع بها أمري ، وتلم بها شعثي ، . . . الحديث [1] .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، لا نعرفه مثل هذا من حديث ابن أبي ليلى إلا من هذا الوجه ، وقد روى شعبة ، وسفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن كريب ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بعض هذا الحديث ، ولم يذكره بطوله .

هنا أراد الترمذي بيان العلة في رواية ابن أبي ليلى وهي كالآتي :

أولاً : أشار إلى غرابة سند ابن أبي ليلى .

ثانياً : الحديث الطويل الذي ذكره ابن أبي ليلى لم يذكره أحد من الثقات بهذا الطول ، إنما يذكرونه مختصراً ، فبناء على هذه الحيثيات حكم الترمذي على رواية ابن أبي ليلى بالغرابة ، وهي من الطرق التي يستعملها نقّاد الحديث لبيان العلة؛لذلك قال الذهبي عن هذا الحديث : منكر [2] .

٤- يحكم الترمذي على رواية ابن أبي ليلى بالحسن والغرابة : من ذلك ما أخرجه الترمذي من طريق ابن أبي زائدة حدثنا ابن أبي ليلى ، عن ثابت البناني ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، قال : قال أبو ليلى – رضي الله عنه – : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا ظهرت الحية في المسكن فقولوا لها : إنا نسألك بعهد نوح ، وبعهد سليمان بن داود ، أن لا تؤذينا ، فإن عادت فاقتلوها " . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه من حديث ثابت البناني إلا من هذا الوجه من حديث ابن أبي ليلى [3] .

قلت : أخرجه أبو داود في الأدب باب قتل الحيات (٥٢٦٠) بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن حيّات البيوت ، فقال : " إذا رأيتم منهنّ شيئا في مساكنكم فقولوا : أنشدكن العهد الذي أخذ عليكن نوح ، أنشدكن العهد الذي أخذ عليكن سليمان أن لا تؤذونا ، فإن عُدن فاقتلوهنّ " . وأخرجه النسائي في " عمل اليوم والليلة " (٩٦٩) من طريق علي بن هاشم ، وابن أبي شيبة (١٩٩٧) من طريق عبيد الله كلاهما عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

---

[1] " سنن الترمذي " (٣٤١٩) .

[2] " سير أعلام النبلاء " (٥/٤٤٤) .

[3] " سنن الترمذي " (١٤٨٥) .

والحديث أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ومسلم في كتاب السلام (١٧٥٦- ١٧٥٧) مطولا بقصة ، حسّنه الترمذي لوجود شاهد له ، وأما الغرابة فلأن كيفية التحريج لا تعرف مرفوعاً إلا بهذا الإسناد ، تفرد به ابن أبي ليلى فالحديث غريب إسناداً في بعض المتن .

٥- تبيين الترمذي للعلة في روايته ، من ذلك ما أخرجه الترمذي من طريق حصين بن نمير عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يتوارث أهل ملتين " . قال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه من حديث جابر إلا من حديث ابن أبي ليلى [١] .

لعل الترمذي أراد بهذه المقولة بيان الوهم والخطأ في هذا الحديث ، وليس المقصود بيان مجرد التفرد والغرابة ؛ لأن الحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٨٦٥) من طريق ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله فذكره موقوفاً بلفظ : " لا يرث اليهودي والنصراني المسلم " ، هذا إسناد صحيح لكل واحد منهم صرّح بالسماع .

وأخرجه الدارقطني في سننه ، وقال : موقوف وهو المحفوظ [٢] .

قلت : والحديث له شواهد أخرى ، منها : حديث أسامة بن زيد مرفوعاً " لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر " أخرجه البخاري ومسلم [..] ، وحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً بلفظ : " لا يتوارث أهل ملتين شتى " أخرجه أبو داود وابن ماجة [٤] وغيرهما ، قال الألباني : هذا حديث سنده حسن [٥] .

الخاتمة :

وبعد هذه الجولة العلمية مع القاضي الفقيه ابن أبي ليلى ، أستطيع أن ألخص النتائج في النقاط الآتية :

١- اتضح أن القاضي ابن أبي ليلى ينتمي إلى قبيلة الأوس التي انحدرت من اليمن ، وهم الأنصار ، وولد ونشأ في بيت علم في مدينة الكوفة حيث كان والده قاضياً فيها .

---

[١] " سنن الترمذي " (٢١٠٨) .
[٢] " سنن الدار قطني " (١٣١/٥) (٤٠٨٢) .
[..] " صحيح البخاري " (٤٢٨٣) صحيح مسلم (١٦١٤) .
[٤] " سنن أبي داود " (٢٩١١) " سنن ابن ماجه " (٢٧٣١) .
[٥] " إرواء الغليل " (١٢١/٦) ، حديث رقم : (١٦٧٦) .

٢- يطلق لقب ابن أبي ليلى على عدة أشخاص من آل ابن أبي ليلى ، يتم تحديده من خلال معرفة الشيوخ والتلاميذ أو من خلال معرفة الوفيات والمواليد .

٣- اتضح للباحث أن القاضي ابن أبي ليلى أخذ العلم من كبار علماء عصره من المحدثين والفقهاء ،وتعلّم القرآن على عشرة شيوخ .

٤- تولى ابن أبي ليلى القضاء نحو ثلاثين عاماً فكانت ولايته لبني أمية وبني العباس .

٥- اتضح أن ابن أبي ليلى له كتاب في الحديث ، وآخر في الفرائض .

٦- اتضح للباحث أن المذاكرة والتكرار في الحديث من أهم الأمور التي ينبغي توافرها لحفظ السند والمتن .

٧- اتضح للباحث أن الإنسان إذا تخصص في علم يكون قد أهمل علماً آخر ، والعمل في القضاء جعله مشغولاً به ، ومن ثمّ لا يجد القاضي وقتاً كافياً لمراجعة الحديث ، فوقع منه الوهم والخطأ .

٨- اتضح للباحث حينما قام بدراسة الأحاديث المعلة لابن أبي ليلى من كتاب " العلل " لأبي حاتم الرازي فوجد أن ابن أبي ليلى أخطأ في سبع أحاديث ، وكان هذا الخطأ في سند الحديث عامة في صور مختلفة .

٩- اتضح أن الإمام أبا داود إذا لاحظ خطأ في رواية ابن أبي ليلى بيّنه وإلا سكت عن بيان درجة الحديث ،وأما الإمام الترمذي فهو لا يقبل رواية ابن أبي ليلى بدون المتابع والشواهد ، وهذا هو الراجح عند العلماء .

والله نسأل أن يتقبل منّا ويجعله في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فهرس المصادر والمراجع :

١. أخبار القضاة لأبي بكر محمد بن خلف الضبي البغدادي ، ت : عبد العزيز مصطفى المراغي ، (لبنان ، بيروت ، عالم الكتب) ط ١ ، ١٩٤٧م .

٢. " إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل " لمحمد ناصر الدين الألباني ، إشراف : زهير الشاويش ، (لبنان ، بيروت ، المكتب الإسلامي) ط ٢ ، ١٩٨٥م .

٣. " الاستيعاب في معرفة الأصحاب " لابن عبد البر ، (مطبعة السعادة) ١٣٢٨هـ .

٤. " أسد الغابة في معرفة الصحابة " لابن الأثير الجزري ، ت : علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ، (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية) ط ١ ، ١٩٩٤م .

٥. الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ط : (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية) ط ١ ، ١٤١٥هـ .

٦. " إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال " لمغلطاي بن قليج ، ت : أبي عبد الرحمن عادل بن محمد – أبو محمد أسامة بن إبراهيم ، (الفاروق الحديثة للطباعة والنشر) ط ١ ، ٢٠٠١م .

٧. " تاريخ ابن معين ليحيى بن معين " ت : محمد كامل القصار (دمشق ، مجمع اللغة العربية) ط ١ ، ١٩٨٥م .

٨. " تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام " لشمس الدين الذهبي ت : الدكتور بشار عوّاد معروف ، (دار الغرب الإسلامي) ط ١ ، ٢٠٠٣ م .

٩. " التاريخ الكبير " للبخاري ، (الهند ، حيدر آباد) ١٣٦١ هـ .

١٠. " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي ، ت : مصطفى عبد القادر عطا (لبنان ، بيروت ، دار الكتاب العربي) ط ١ ، ١٤١٧هـ .

١١. " تاريخ خليفة بن خياط " لخليفة بن خياط الليثي ، ت : أكرم ضياء العمري (لبنان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة) ط ٢ ، ١٣٩٧هـ .

١٢. " تاريخ دمشق " لابن عساكر ت : عمرو بن غرامة العمروي ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) ١٩٩٥م .

١٣. " تذكرة الحفاظ " للذهبي ، (الهند ، حيدر آباد) ١٣٧٥هـ .

١٤. " تقريب التهذيب " لابن حجر العسقلاني ، ت : محمد عوامة (سوريا ، حلب ، دار الرشيد) ط ٤ ، ١٩٩٧م .

١٥. " تهذيب الأسماء واللغات " للنووي (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية) .

١٦. " تهذيب التهذيب " لابن حجر العسقلاني (الهند ، حيدر آباد ، مطبعة دائرة المعارف النظامية) ط ١ ، ١٣٢٦هـ .

١٧. " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " لجمال الدين المزي ت : بشار عواد معروف ، (لبنان بيروت ، مؤسسة الرسالة) ط ١ ، ١٩٨٠م .

١٨. " توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار " للصنعاني محمد بن إسماعيل ، ت : صلاح بن محمد بن عويضة (لبنان – بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م) ط ١ .

١٩. " الثقات " لابن حبان (الهند ، حيدر آباد ، مطبعة دائرة المعارف النظامية) ط ١ ، ١٩٧٣م .
٢٠. " الثقات " للعجلي (معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم) ت : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، (السعودية ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار) ط ١ ، ١٩٨٥م .
٢١. " جامع الأصول في أحاديث الرسول " لابن الأثير الجزري ، ت : عبد القادر الأرنؤوط ، (مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان) ط ١ .
٢٢. " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع " للخطيب البغدادي ، ت : محمود الطحان ، (السعودية ، الرياض ، مكتبة المعارف) .
٢٣. " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم أبي محمد عبد الرحمن ، (الهند ، حيدر آباد ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م) ط ١ .
٢٤. " رجال صحيح البخاري " (الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد) لأحمد بن محمد الكلاباذي ت : عبد الله الليثي (لبنان ، بيروت ، دار المعرفة) ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
٢٥. " رجال صحيح مسلم " لأحمد بن علي أبي بكر ابن مَنْجُويَه ، ت : عبد الله الليثي (لبنان ، بيروت ، دار المعرفة) ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
٢٦. " الرسالة " للشافعي ت : أحمد شاكر (مصر ، مكتبه الحلبي) ط ١ ، ١٩٤٠م .
٢٧. " سنن ابن ماجة " ، ت : محمد فواد عبد الباقي ، (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية) .
٢٨. " سنن أبي داود " ، ت : محمد عوامة (لبنان ، بيروت ، مؤسسة الريان) .
٢٩. " سنن الترمذي " لمحمد بن عيسى الترمذي ، ت : أحمد محمد شاكر ، (مصر : مطبعة مصطفى البابي ، ١٩٧٥م) ، ط ٢ .
٣٠. " سنن الدارقطني " ت : شعيب الأرنؤوط ، (لبنان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة) ط ١ ، ٢٠٠٤م .
٣١. " السنن الكبرى " للبيهقي (لبنان ، بيروت ، دار المعرفة) .
٣٢. " سير أعلام النبلاء " للذهبي (لبنان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة) ١٤٠١هـ .

٣٣. " شرح علل الترمذي " لابن رجب الحنبلي ، ت : همام عبد الرحيم سعيد ، (الأردن – الزرقاء ، مكتبة المنار ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) ط ١ .

٣٤. " شرف أصحاب الحديث " للخطيب البغدادي ، ت : محمد سعيد خطي أوغلي ، (تركيا ، أنقرة ، دار إحياء السنة النبوية) .

٣٥. " صحيح ابن حبان " (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) لابن بلبان الفارسي ، ت : شعيب الأرنؤوط ، (لبنان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة) ١٤١٨هـ .

٣٦. " صحيح البخاري " ، ت : محمد زهير بن ناصر الناصر (دار طوق النجاة) ط ١ ، ١٤٢٢هـ .

٣٧. " صحيح مسلم " ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، (لبنان ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي) .

٣٨. " الطبقات الكبرى " لابن سعد ت : محمد عبد القادر عطا (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية) ط ١ ، ١٩٩٠م .

٣٩. " طبقات المفسرين " للداودي لشمس الدين الداوودي المالكي (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية) .

٤٠. " عقلاء المجانين " لابن حبيب النيسابوري ، ت : محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية) ط ١ ، ١٩٨٥م .

٤١. " العلل " لابن أبي حاتم ، ت : فريق من الباحثين (مطابع الحميضي) ط ١ ، ٢٠٠٦م .

٤٢. " العلل الواردة في الأحاديث النبوية " للدارقطني ت : محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، (السعودية ، الرياض ، دار طيبة) ط ١ ، ١٩٨٥م .

٤٣. " العلل ومعرفة الرجال " لأحمد (رواية ابنه عبد الله العلل ومعرفة الرجال) ، ت : وصي الله بن محمد عباس ، (السعودية ، الرياض ، دار الخاني) ط ٢ ، ١٤٢٢هـ .

٤٤. " عمدة القاري شرح صحيح البخاري " للعلامة العيني ، (لبنان ، بيروت ، دار الفكر) ١٤١٨هـ .

٤٥. " فتح الباري شرح صحيح البخاري " لابن حجر العسقلاني ، (لبنان – بيروت ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ) .

٤٦. " فتح المغيث بشرح ألفية الحديث " للعراقي ، للسخاوي شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن ، ت : علي حسين علي ، (مصر ، مكتبة السنة ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) ط ١ .
٤٧. " الفهرست " لابن النديم : محمد بن إسحاق أبو الفرج النديمدار المعرفة بيروت ١٣٩٨ .
٤٨. " قرة العينين برفع اليدين في الصلاة " لمحمد بن إسماعيل البخاري ، ت : أحمد الشريف . (الكويت ، دار الأرقم للنشر والتوزيع) ط ١ ، ١٩٨٣م .
٤٩. " الكامل في ضعفاء الرجال " لابن عدي (لبنان ، بيروت ، دار الفكر) ١٤٠٤هـ .
٥٠. " الكفاية في علم الرواية " للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي، ت : أبي عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني (المدينة المنورة ، المكتبة العلمية) .
٥١. " الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات " لبركات بن أحمد ، ت : عبد القيوم عبد رب النبي ، (لبنان ، بيروت ، دار المأمون) ط ١ ، ١٩٨١م .
٥٢. " لسان الميزان " لابن حجر العسقلاني ، ت : عبد الفتاح أبو غدة (لبنان – بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ٢٠٠٢م) ط ١ .
٥٣. " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " للهيثمي أبي الحسن علي بن أبي بكر ، ت : حسام الدين القدسي (مصر ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م) .
٥٤. " مسند أبي داود الطيالسي " ، ت : محمد بن عبد المحسن التركي ، (مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية) .
٥٥. " مسند الإمام أحمد بن حنبل " ، ت : شعيب الأرنؤوط (لبنان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة) ط ١ ، ٢٠٠١م .
٥٦. " مسند البزار " (المنشور باسم البحر الزخار) ت : محفوظ الرحمن زين الله وغيرهم ، (السعودية ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم) ط ١ .
٥٧. " مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار " لابن حبان البُستي ت : مرزوق علي إبراهيم ، (المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) ط ١ ، ١٩٩١م .

٥٨. " مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة " للبوصيري ت : محمد المنتقى الكشناوي ، (لبنان ، بيروت ، دار العربية) ط ٢ ، ١٤٠٣هـ .

٥٩. " المصنف في الأحاديث والآثار " لابن أبي شيبة ، (لبنان ، بيروت ، دار الفكر) ١٤١٤هـ .

٦٠. " المعجم الكبير " للطبراني ، سليمان بن أحمد ، ت : حمدي بن عبد المجيد (القاهرة : مكتبة ابن تيمية) ط ٢ .

٦١. " معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار " لشمس الدين الذهبي (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية) ط ١ ، ١٩٩٧م .

٦٢. " معرفة علوم الحديث " للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله ، ت : السيد معظم حسين (لبنان – بيروت ، دار الكتب العلمية) .

٦٣. " معاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار " لبدر الدين العيني ، ت : محمد حسن إسماعيل ، (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية) ط ، ٢٠٠٦م .

٦٤. " معرفة أنواع علوم الحديث " ، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح ، لابن الصلاح أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ، ت : نور الدين عتر (سوريا ، دار الفكر) .

٦٥. (مقدمة ابن خلدون) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، لابن خلدون ، ت : خليل شحادة (لبنان ، بيروت ، دار الفكر) ط ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م .

٦٦. " المنتظم في تاريخ الملوك والأمم " لأبي الفرج ابن الجوزي ، (لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية) .

٦٧. " ميزان الاعتدال في نقد الرجال " للذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد ، ت : علي محمد البجاوي (لبنان – بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م) ط ١ .

٦٨. " هدية العارفين " لإسماعيل باشا البغدادي ، (لبنان ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي) .

٦٩. " الوافي بالوفيات " لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، ت : أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ، (لبنان ، بيروت ، دار إحياء التراث) ٢٠٠٠م .

٧٠. " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " لابن خلكان ، ت : إحسان عباس (لبنان ، بيروت ، دار صادر) .

القيم الحضارية في السنة النبوية

– على صاحبها أفضل الصلاة و السلام –

(الحلقة الثالثة)

د . محمد شاهجهان الندوي *

٨ - الاهتمام بفعل الخير :

أكد النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – على المسلم أن يقوم بفعل الخيرات ، والخدمات التي يقدمها للمجتمع طائعا مختارا ، تقوية للضعيف ، وتعليما للجاهل ، وإرشادا للحائر ، وإعانة للعاجز ، وإغاثة للملهوف ، كما قال سبحانه : (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) . [٢٢ / الحج : ٧٧] .

فالنبي الكريم – صلى الله عليه و سلم – يريد من المسلم أن يكون نبعا دفاقا يفيض بالخير والنفع ، لكل من حوله ، وما حوله ، لا يبخل بمال ، ولا يضن بجهد ولا وقت ، مؤديا الشكر على نعمة الله عز وجل ، قائما بحق الأخوة التي تربطه بالمجتمع ، والتي جعلها الله تعالى عنوان الإيمان ، حيث قال : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) . [٤٩ / الحجرات : ١٠] .

ومن ثمرات هذه الأخوة الإسلامية : أن يعتبر المؤمن أخاه جزءا منه ، يسره ما يسره ، ويحزنه ما يحزنه ، فعن أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " . (أخرجه البخاري رقم ١٣ ، ومسلم رقم ٤٥) .

ولفعل الخير المطلوب من المسلم مجالات جمة ، ومظاهر شتى : من إطعام الجائع ، وسقي العطشان ، وإسعاف الجريح ، ومداواة المريض ، وكسوة العريان . وفي السنة أحاديث عديدة تأمر بفعل الخيرات ، منها ما يأتي :

١ – عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : قال رسولُ

---

* عميد كلية الحديث ، الجامعة الإسلامية ، شانتابرم ، مالابرم ، كيرالا . (الهند)

اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – : " اعبُدوا الرحمن ، وأطْعِمُوا الطعامَ ، وأفْشُوا السلامَ ، تدخلوا الجنةَ بسلام " . (أخرجه الترمذي رقم ١٨٥٥ ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٩٨١) ، وابن ماجة (٣٦٩٤) ، وأحمد برقم ٦٥٨٧ ، وهو حديث صحيح) .

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم – إن اللّه عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال يا رب كيف أعودك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال يا رب وكيف أطعمك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك ؟ وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي " . (أخرجه مسلم (٢٥٦٩) في البر : باب فضل عيادة المريض ، والبخاري في " الأدب المفرد " برقم (٥١٧) .

وفي الحديث تصوير فني رائع لموقع هذه الأعمال الخيرية عند اللّه تبارك وتعالى : حتى إن رب العالمين – جل جلاله – ينسب حاجات العبد ومطالبه من أخيه إلى ذاته المقدسة ، فيقول : استطعمتك فلم تطعمني . فمن ذا الذي يقرأ هذا أو يسمعه ، ولا تتحرك إرادته لفعل الخير ، وإعانة الخلق إلا أن يكون جامدا أو محروما من كل خير .

وعن أنس رضي اللّه عنه أن سعدا أتى النبي – صلى اللّه عليه و سلم – فقال : يا رسول اللّه ، إن أمي توفيت ولم توص أفينفعها أن أتصدق عليها ؟ قال : نعم ، وعليك بالماء " . (رواه الطبراني في الأوسط – كما في مجمع الزوائد ٣٣٥/٣ ، رقم ٤٧٦٧ – ، وقال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح) . ومعنى " عليك بالماء " : الزم بسقيه وإيصاله للمحتاجين إليه ، بحفر بئر أو بناء سد ، أو نحو ذلك .

وعن عبد اللّه بن عمرو – رضي اللّه عنهما – أن رجلا سأل النبي – صلى اللّه عليه وسلم – أي الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ

السلام على من عرفت ومن لم تعرف " . (أخرجه البخاري رقم ١٢ ، ٥٨٨٢ ، ومسلم رقم ٣٩ ، والبخاري في الأدب المفرد رقم ١٠٥٠) .

ولا يقف فعل الخير عند الإطعام والسقي ، بل يشمل كل ما ينفع الناس مادياً أو أدبياً ، وما يدفع أو يرفع ضرراً عنهم ، أو ينحي أذى من طريقهم ، ولو كان عظماً أو شوكة ، أو غصناً . فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه ، فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة " . وفي رواية : " فمن لم يجد ، فبكلمة طيبة " . (أخرجه البخاري (٦٥٣٩) و (٧٥١٢) و (٧٤٤٣) ، ومسلم رقم ١٠١٦ ، وابن حبان رقم ٧٣٧٣) .

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " كل قرض صدقة " . (أخرجه الطبراني في الصغير رقم ٤٠٢ ، وإسناده حسن) .

وحذيفة وجابر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " كلُّ معْروفٍ صدقة " . (أخرجه البخاري رقم ٦٠٢١ ، ومسلم رقم ١٠٠٥) .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَائِهِ " . (أخرجه أحمد رقم ١٤٧٠٩ ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٣٠٤) ، والترمذي (١٩٧٠) ، وهو حديث صحيح) .

وعن أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه – قال : قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – : " تَبَسُّمُكَ في وجه أخيك صدقة ، وأمْرُك بالمعروف ونَهْيُكَ عن المنكرِ صدقة ، وإرشادُك الرجل في أرض الضلال ، لك صدقة ، وبَصَرُك للرجل الرديء البصر ، لك صدقة، وإماطتكَ الحجَرَ والشوكَ والعظمَ عن الطريق ، لك صدقة ، وإفراغُكَ من دَلْوِكَ في دَلْوِ أخيك صدقة ". (أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (٢٢٧) ، والترمذي (١٩٥٦) ، وابن حبان (٤٧٤) و (٥٢٩) ، والطبراني في " الأوسط "

(٤٨٣٧) ، وهو حديث حسن) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : " الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ " . (أخرجه البخاري (٢٨٩١) و (٢٩٨٩) ، ومسلم (١٠٠٩) ، وابن خزيمة (١٤٩٤) ، وابن حبان (٤٧٢) .

وفي نظر نبي الإسلام – صلى الله عليه و سلم – كل إنسان قادر على أن يعطي شيئا ، مهما تكن قدراته محدودة ، وإمكاناته ضئيلة ، فلم يخلق الله إنساناً محروماً من كل قدرة ، وكل نعمة .

فعن أبي ذر قال : سألت رسول الله – صلى الله عليه و سلم – ماذا ينجي العبد من النار ؟

قال : الإيمان بالله .

قلت : يا نبي الله مع الإيمان عمل ؟

قال : أن ترضخ (أي تعطي اليسير) مما خولك الله ، أو ترضخ بما رزقك .

قلت : يا نبي الله فإن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ ؟

قال : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

قلت : إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ؟

قال : فليعن الأخرق (يعني : من لا يحسن صنعة) .

قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع ؟

قال : " فليعن مظلوما " .

قلت : يا نبي الله ، أرأيت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما ؟

قال : " ما تريد أن تترك لصاحبك من خير ، ليمسك أذاه عن الناس " .

قلت : يا رسول الله أرأيت إن فعل هذا يدخله الجنة ؟

قال : ما من مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة " . (أخرجه ابن حبان رقم ٣٧٣ ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير : ج٢/ص١٥٦ ح ١٦٥٠ – وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢٨/٣ ، رقم ٤٧٤٤ – وقال : " ورجاله ثقات " ، والبيهقي في الشعب رقم ٣٣٢٨ ، وهو حديث صحيح) .

فأقل ما يجزئ عن المسلم من الصدقة الاجتماعية – إذا افترض

عجزه عن تقديم أي خدمة لغيره – أن يكف شره عن الخلق ، ويمسك أذاه عن الناس ، فيسلموا من لسانه ويده ، ولا يصيبهم من جهته سوء ، وهذا كسب – وإن كان سلبيا – للمجتمع ، ويكفي أنهم أمنوا بوائقه ، وسلموا منه . وقد قال الشاعر :

وإن امرءا أمسى وأصبح سالما من الناس – إلا ما جنى – لسعيد

ويتضاعف فضل هذه الصدقة الاجتماعية المطلوبة من المسلم في كل يوم ، كلما كان المنتفع بها مكروبا أو ملهوفا ، أو شديد الحاجة إليها ، فعلى قدر حاجته وشدته تكون هذه الصدقة أعظم ، ويكون ثوابها أجزل .

ولذا حث النبي الكريم – صلى الله عليه و سلم – على تفريج الكربات ، والمعونة في الشدائد والأزمات ، وإنظار المعسر أو وضع جزء من الدين عنه ، فعن أبي هريرة : عن النبي – صلى الله عليه و سلم – قال : من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " . (أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٩ ، وأبوداود رقم ٤٩٤٦ ، والترمذي رقم ١٩٣٠) .

وعن حذيفة قال : قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – : " تَلَقَّتِ الملائكة رُوحَ رجلٍ ممن كان قبلكم ، فقالوا : أعملتَ من الخير شيئًا ؟ قال : لا. قالوا : تذَكَّر . قال : كنتُ أداينُ الناسَ ، فآمُرُ فِتيانِي أن يُنْظِرُوا المعْسِرَ ، ويَتَجَوَّزُوا عن الموسِرِ ، قال : قال الله تعالى : تجاوزوا عنه " . (أخرجه البخاري رقم ٢٠٧٧ ، ومسلم رقم ١٥٦٠) .

وعن ابن عُمَرَ أَنَّ رَجُلا جاء إلى النبي – صلى اللَّهُ عليه وسلم – فقال : يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الناس أَحَبُّ إلى اللَّهِ ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إلى اللَّهِ ؟ فقال رسول اللَّهِ – صلى اللَّهُ عليه وسلم – : " أَحَبُّ الناس إلى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إلى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ على مُسْلِمٍ ، أو تَكْشِفُ عنه كُرْبَةً ، أو تَقْضِي عنه دَيْنًا ، أو تَطْرُدُ عنه جُوعًا ، وَلأَنْ أَمْشِيَ مع أَخٍ في حَاجَةٍ أَحَبُّ إلي من أَنْ أَعْتَكِفَ في هذا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ

شَهْرًا – وَمَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يوم الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مع أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حتى يَتَهَيَّأَ له أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يوم تَزُولُ الأَقْدَامِ " . (أخرجه الطبراني في الكبير ٤٥٣/١٢ ، رقم ١٣٦٤٦ ، وفي الصغير رقم ٨٦١ ، وفي الأوسط رقم ٦٠٢٦ ، وهو حديث حسن) .

وقد شرع نبي الإسلام – صلى الله عليه و سلم – في مجال فعل الخير أعظم شيء ، و هو : الصدقة الجارية ، التي تبقى للإنسان بعد موته ، وقد بين النبي الكريم – صلى الله عليه و سلم – فضلها العظيم ، فعن أبي هريرة : أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – قال : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية ، أو علم يُنْتَفَعُ به ، أو ولد صالح يدعو له " . (أخرجه مسلم رقم ١٦٣١ والنسائي (٣٦٥١) ، وأبو داود (٢٨٨٠) ، والترمذي (١٣٧٦) ، والدارمي (٥٦٥) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٣٨) .

ومن مظاهر تلك الصدقة : الوقف الخيري الذي بدأ منذ عهد الصحابة ، حيث يوقف المسلم رقبة المال المملوك له ، ويسبل ثمرته ، ويحبسها على جهات الخير .

وقد تميزت الحضارة الإسلامية بكثرة أوقاف أهل الخير ، واتساع نطاقها ، فشملت جميع نواحي الخير ، وجوانب المعروف في الحياة الإنسانية ، بل الحياة الحيوانية كذلك ، مما لا يعرف له نظير في حضارة أخرى .

٩ – رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة :

تعتبر رعاية المرضى والمعوقين وكبار السن من الحقوق التى أرساها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، وأمر المسلمين بتنفيذها حتى يتحقق الترابط الاجتماعى ، فقد حثت السنة الشريفة على عيادة المريض وعدم نسيانه فى ظل دوامة الحياة ، فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " من عاد مريضا أو زار أخاً له فى الله ، ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا " . (أخرجه ابن ماجة رقم ١٤٤٣ ، والبيهقي في شعب الإيمان رقم ٩٠٢٦ ، ٩٠٢٧ ، وإسناده حسن) .

ولا يخفى أن رعاية المرضى لها جانبان جانب مادى وجانب معنوى ، فالجانب المعنوى يقوم على زيارة المريض والإحساس بحاله ، وقد دعا الاسلام إلى عيادة المريض وذلك من حق المسلم على المسلم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ : قِيلَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاصْحَبْهُ " . (أخرجه البخاري رقم ١٢٤٠ ، ومسلم رقم ٢١٦٢ ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٩٩١) .

ويدخل فى هذا المعنى الرفق بالمريض أثناء الزيارة وإن يدعو له بالشفاء .

وكان – صلى الله عليه وسلم – إذا سمع بمريض أسرع لعيادته في بيته ، مع كثرة همومه ومشاغله ، ولم تكن زيارته هذه مُتكلَّفة أو اضطراريّة ، وإنما كان يَشعر بواجبه نحو هذا المريض . . كيف لا وهو الذي جعل زيارة المريض حقًّا من حقوقه ؟

فكان – صلى الله عليه وسلم وهو المُرَبّي والقدوة – يُهَوّن على المريض أزمته ومرضه ، ويُظهِر له – دون تَكَلُّف – مُواساته له ، وحرصه عليه ، وحبّه له ، فيُسعد ذلك المريضَ وأهلَه ، وفي ذلك يروي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول : اشتكى سعد بن عبادة شكوى له ، فأتاه النبي – صلى الله عليه وسلم – يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود – رضي الله عنهم – ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله (أي الذين يغشونه للخدمة وغيرها) فقال : " قَدْ قَضَى ؟ " . قالوا : لا يا رسول الله . فبكى النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فلما رأى القوم بكاء النبي – صلى الله عليه وسلم – بَكَوْا ، فقال : " أَلاَ تَسْمَعُونَ ؟! إِنّ اللّهَ لاَ يُعَذّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ ؛ وَلَكِنْ يُعَذّبُ بِهَذَا – وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ – أَوْ يَرْحَمُ " . (أخرجه البخاري رقم ١٢٤٢ ، ومسلم رقم ٩٢٤) .

كما كان – صلى الله عليه وسلم – يدعو للمريض ويُبشّره بالأجر والمثوبة نتيجة المرض الذي لحق به ؛ فيُهَوّن بذلك عليه الأمر ،

ويُرْضيه به ؛ تروي أُمُّ العلاء فتقول : عادني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنا مريضة ، فقال : " أَبْشِرِي يَا أُمّ الْعَلاَءِ ، فَإِنّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللّهُ بِهِ خَطَايَاهُ كَمَا تُذْهِبُ النّارُ خَبَثَ الذّهَبِ وَالْفِضّةِ " . (أخرجه أبوداود رقم ٣٠٩٢ ، وهو حديث صحيح) .

وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – حريصًا على أن يُخَفِّف عن المريض وألاَّ يشقّ عليه ، وقد روى في ذلك جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – فقال : خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجرٌ ، فشجّه في رأسه ، ثم احتلم ، فسأل أصحابه ، فقال : هل تجدون لي رخصة في التّيَمُّم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء . فاغتسل فمات ؛ فلمّا قدمنا على النبي – صلى الله عليه وسلم – أُخبِرَ بذلك ، فقال : " قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللّهُ ، أَلاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا ؛ فَإِنّمَا شِفَاءُ الْعِيّ السّؤَالُ ، إِنّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ – شَكَّ أحد رُوَاة الحديث – عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ، ثُمّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ " . (أخرجه أبو داود رقم ٣٣٦ ، وابن ماجة رقم ٥٧٢ ، والدارمي رقم ٧٥٢ ، وأحمد رقم ٣٠٥٧ ، وهو حديث صحيح) .

بل إنه – صلى الله عليه وسلم – كان يُلَبّي حاجة المريض ، ويسير معه حتى يقضي حاجته ، ولقد جاءته ذات مرّة امرأة في عقلها شيء ، فقالت : يا رسول الله ، إن لي إليك حاجة . فقال : " يَا أُمّ فُلانٍ ، انْظُرِي أَيّ السّكَكِ شِئْتِ ؛ حَتّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ " . فخلا معها (أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة ، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية ؛ فإن هذا كان في ممرّ الناس ومشاهدتهم إيّاه وإيّاها ، لكن لا يسمعون كلامها ؛ لأن مسألتها ممَّا لا يظهره . انظر : النووي : المنهاج في شرح صحيح مسلم ٨٣/١٥) في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها " . (أخرجه مسلم رقم ٢٣٢٦ ، وأحمد (١٤٠٧٨)، وابن حبان (٤٥٢٧) .

كما جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – للمرضى وذوي الاحتياجات الخاصّة الحقّ في التداوي ؛ لأن سلامةَ البدن ظاهرًا وباطنًا مقصدٌ من مقاصد الإسلام ؛ لذلك قال – صلى الله عليه وسلم – للأعراب عندما سألوه عن التداوي : " تَدَاوَوْا عِبَادَ اللّهِ، فَإِنّ اللّهَ عز وجل لَمْ يَضَعْ

دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً إِلا الْهَرَمَ " . (أخرجه أبوداود (٣٨٥٥) ، والترمذي (٢٠٣٨) ، وابن ماجة (٣٤٣٦)، وأحمد (١٨٤٧٧) ، وهو حديث صحيح) .

كذلك لم يكن يمانع أن تعالِج المرأةُ المسلمة رجلاً من المسلمين ؛ حيث جَعَلَ – صلى الله عليه وسلم – رُفَيْدة – وهي امرأة من قبيلة أسلم – تعالِج سعد بن معاذ حين أصابه سهم بالخندق ، وكانت – رضي الله عنها – تُداوي الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين " . (أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١٢٩) ، وإسناده صحيح) .

وفي صورة تطبيقية ، كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يتعامل مع عمرو بن الجموح – رضي الله عنه – تعاملاً راقيًا ، وكان عمرو من ذوي الاحتياجات الخاصّة ، إذ كان أَعْرَج شديد العَرَج ، وقد حدث أن بنيه الأربعة الذين كانوا يشهدون المشاهد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، أرادوا حبسه يوم أُحُدٍ ، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مخاطبًا عَمْرًا : " أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذرَكَ اللَّهُ فَلا جِهَادَ عَلَيْكَ " . وقال لبنيه : " مَا عَلَيْكُمْ أَلاَّ تَمْنَعُوهُ ، لَعَلّ اللَّهُ يَرْزُقُهُ شَهَادَةً " . فخرج مع النبي – صلى الله عليه وسلم – فقُتِلَ يوم أُحُدٍ ، ثم قال – صلى الله عليه وسلم – عنه : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! إِنّ مِنْكُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرّهُ ، مِنْهُمْ : عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَطَأُ فِي الْجَنّة بِعَرْجَتِهِ " . (أخرجه ابن حبان عن جابر بن عبد الله : كتاب إخباره – صلى الله عليه وسلم – عن مناقب الصحابة (٧٠٢٤) ، وإسناده حسن) .

وملخص القول أن للإسلام والحضارة الإسلامية نظرة خاصّة في رعاية المرضى وذوي الاحتياجات ، تلك النظرة التي تبدأ من التخفيف عليهم في بعض الالتزامات الشرعيّة ، وذلك كما في قول الله تعالى : (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) . [٢٤/ النور : ٦١] . وتنتهي ببثّ الأمل في نفوسهم ، ومراعاة حقوقهم الجسمانيّة والنفسيّة .

أما الجانب المادى فهو واجب الدولة والأغنياء ، فعلى الدولة أن تنشىء المستشفيات فى أماكن كثيرة بنظام خاص ولا بد أن تكون هذه المستشفيات ميسرة على الفقراء المرضى ولو أمكن علاجهم مجانا ، أو بأرخص الأسعار مع العناية بوجود كل التخصصات ، ووجود الأطباء الأكفاء والحكماء الأمناء والأطعمة الصحية والعمل ليل نهار دون إغلاق لهذه المستشفيات ، لكان أحسن ، كما يجب أن تتوافر سيارات الإسعاف على أعلى مستوى من الإمكانيات مع توافر أطباء بها لسرعة علاج المرضى ، فالدول المتقدمة تستخدم الطائرات أحيانا فى إسعاف المرضى ، ونحن أحق بهذا العمل فديننا يحثنا على ذلك ، فقد روى عن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين – رضى الله عنه وأرضاه – أنه وضع يده فى جوف حيوان مريض لكى يعالجه ، وعندما سئل عن ذلك قال : " حتى لا يسألنى ربى لِمَ لَمْ توفر له العلاج يا عمر " .

رعاية كبار السن :

أكد النبي الكريم – صلى الله عليه و سلم – على رعاية المسنين كذلك ، فالشيخوخة هي ظاهرة اجتماعية نبعت من الجماعة ، فهي التي أطلقتها بمواصفات معينة على أفراد عجزوا عن أداء أدوارهم الاجتماعية .

والمسن في شريعتنا السمحة جدّاً كان أو أبّاً أو أخاً أو عمّاً أو خالاً كائناً ما كان ، له من المهابة والتقدير والاحترام والإجلال والبِّر والإحسان الشيء الكثير والقدح المعلّى ، حقاً واجباً . فعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – : أَنَّ رسولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قال : " إِنَّ من إِجلالِ اللهِ : إِكرامَ ذي الشَّيْبَة المسلم ، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه ، ولا الجافي عَنهُ (التارك له) ، وإِكرامَ ذي السلطانِ المُقْسِط " . (أخرجه أبوداود رقم ٤٨٤٣ ، والبخاري في " الأدب المفرد " رقم ٣٥٧ ، وهو حديث حسن) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – قال : أراني في المنام أتسوك بسواك فجذبني رجلان أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر منهما ، فقيل لي :

كبر ، فدفعته إلى الأكبر " . (أخرجه مسلم رقم ٢٢٧١ ، والبخاري تعليقا رقم ٢٤٦) .

وعن ابْنَ عُمَرَ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهُوَ يَسْتَنُّ ، فَأَعْطَى أَكْبَرَ الْقَوْمِ ، وَقَالَ : " إِنَّ جِبْرِيلَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَمَرَنِي أَنْ أُكَبِّرَ " . (أخرجه أحمد رقم ٦٢٢٦ ، وإسناده حسن) .

وعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَسْتَنُّ وَعِنْدَهُ رَجُلاَنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فِي فَضْلِ السِّوَاكِ ، أَنْ كَبِّرْ أَعْطِ السِّوَاكَ أَكْبَرَهُمَا " . (أخرجه أبوداود رقم ٥٠ ، وإسناده صحيح) .

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة والأدلة العديدة التي اشتملت عليها سنة النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، وهذه النصوص وما جاء في معناها تدعو المسلمين إلى احترام كبار السن من المسلمين ، ومعرفة حق ذي الشيبة المسلم ولزوم الأدب معهم ، وذلك باحترامهم وتوقيرهم ومعرفة قدرهم وحقوقهم ، ومراعاة كبر سنهم وأعمارهم ، وملاحظة ضعفهم و وهن أبدانهم ، وتقدير مشاعرهم وأحاسيسهم ، وتقديمهم في الكلام والطعام والدخول ، ونحو ذلك من الآداب العظيمة والأخلاق الكريمة .

ويتأكد الاحترام والتقدير عندما يكون كبير السن أباً أو جدًّا أو خالاً أو قريباً أو جاراً ، وذلك لحق القرابة والصلة والجوار ، وكما يدين المرء يدان ؛ فمن راعى حقوق هؤلاء وحافظ على واجباتهم في شبابه وصحته ونشاطه ، هيأ الله له في كبره من يرعى حقوقه . فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – : قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " ما أكرم شاب شيخا لِسنِّه إلا قيَّضَ اللهُ لهُ مَن يُكرمهُ عندَ سِنِّه " . (أخرجه الترمذي (٢٠٢٢) ، والبيهقي في الشعب رقم ١٠٩٩٣ ، والديلمي في الفردوس رقم ٦١٩١ ، والطبراني في الأوسط رقم ٥٩٠٣ ، وفي إسناده مقال) .

وفي معناه ما رواه يحي بن سعيد المدني قال : بلغنا أنه من أهان ذا شيبة لم يمت حتى يبعث الله عليه من يهين شيبته إذا شاب . (رواه ابن أبي

الدنيا في " العمر والشيب " ص ٥٣ ، رقم ١٥) .

إن كبار السن وذوي الأعمار المديدة يعيشون مرحلة إقبال على الآخرة وإحساس بدنو الأجل أكثر من غيرهم ، فالطاعة فيهم تزيد والخير فيهم يكثر والوقار عليهم يظهر .

روى ابن أبي الدنيا قال : دخل سليمان بن عبد الملك المسجد فرأى شيخاً كبيراً فدعا به ، قال : يا شيخ أتحب الموت ؟ قال : لا ، قال : بمَ ؟ قال : ذهب الشباب وشره ، وجاء الكبر وخيره ، فإذا قمت قلت : بسم الله ، وإذا قعدت قلت : " الحمد لله ، فأنا أحب أن يبقى لي هذا . (أخرجه ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن محمد أبو بكر ، في " العمر والشيب " ص ٥٧ – ٥٨ ، رقم ٢٩ ، ط : ١ ، الرياض ، مكتبة الرشد) .

وهذا هو معنى ما روي عن عبد الله بن بسر – رضي الله عنه – : أَنَّ أعرابيا قال : " يا رسولَ الله ، مَنْ خَيْرُ الناس ؟ قال : مَنْ طال عمره ، وحَسُنَ عمله " . (أخرجه الترمذي (٢٣٢٩) (٣٣٧٥) ، وأحمد رقم ١٧٦٨٠ ، وهو حديث حسن) .

فالواجب على الشباب أن يتقوا الله جل وعلا ، ويراقبوه بمراعاة حقوق هؤلاء الأمثال الأخيار والأفضال الأبرار ، أهل الإحسان والطاعة والخير والعبادة ، أهل الركوع والسجود والصيام والقيام ، والتسبيح والتهليل والحمد والطاعة .

وإن من المؤسف حقاً أن تهدر حقوق هؤلاء في ظل طيش الشباب وغمرتهم في السهو والغفلة ؛ فلا للآباء يحترمون ، ولا للكبار يقدِّرون ويوقرون ، ولا للقيام بحقوق هؤلاء يقومون ويرعون ، بل ولا للوقوف بين يدي الله يراقبون ، لاسيما وأن بعض سفهاء الشباب قد يرتكبون تجاه هؤلاء اعتداءات مشينة وتجاوزات عظيمة تسفِر عن قلة الحياء وذهاب الخلق والمروءة ومفارقة القيم والأخلاق ، فهم في غمرتهم ساهون ، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقَلب ينقلبون .

(للبحث صلة)

الكتب المترجمة باللغة الأردية وبالعكس في الهند منهجها وأسلوبها

(مقال قُدم في مؤتمر دولي عقده مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية بالرياض ضمن فعاليات شهر اللغة العربية في الهند ، في شهر أبريل عام ٢٠١٧م ، وذلك في الجامعة الملية الإسلامية بنيو دلهي ، الهند)

بقلم : محمد فرمان الندوي

الهند مهد للعلوم والفنون ، تطورت فيها الثقافات والحضارات ، وكانت منذ قديم الزمان مركزاً للناس من نواح شتى ، يأتي إليها التجار ، ولما أشرقت شمس الإسلام على أرضها قصدها طلاب العلم واستفادوا من إشراقاتها الساطعة . ولا شك أن الهند من البلدان العجمية ، فكان سكانها في حاجة ماسة إلى أن يعرفوا العلوم الأخرى بالنقل والترجمة . فجرى هذا العمل ، وتوسع عبر العصور .

لما خرج الإسلام من جزيرة العرب واستولى على عقول الناس وأذهانهم اتسع نطاق الفتوحات الإسلامية ، فكثرت حاجيات الناس ومقتضياتهم ، فأقبل العرب على الترجمة لكتب الحكمة والفلسفة والعلوم من الحضارات المتنوعة : الفارسية واليونانية والهندية ، وقد تأسس لذلك بيت الحكمة في زمن الخليفة هارون الرشيد ، وهناك اسمان بارزان ، أحدهما إبراهيم بن حبيب الفزاري في عهد الخليفة المنصور ترجم كتاباً هندياً في علم الفلك (سوريا سدهانت) باسم سند هند ، وثانيهما : محمد بن موسى الخوارزمي الذي كان مترجماً في عهد الخليفة المأمون ، وقام بترجمة الكتب الهندية والفهلوية إلى العربية ، كما لا يُنسى فضل عبدالله بن المقفع الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة من الفهلوية إلى العربية [1] .

[1] اللغة العربية في الهند عبر العصور : ٢٢١ ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٨م

إن عمل الترجمة ليس سهلاً ميسوراً ، بل هو أمر ذو بال وخطورة ، وهو أصعب من الإنشاء والكتابة ، يقول أديب العربية الكبير الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي :

" عمل الترجمة يختلف عن الإنشاء تماماً ، يكفي في الإنشاء الفطانة والتمرين ، لكن الترجمة تحتاج إلى دراسة واسعة بكل حيطة وحذر ، كما يحتاج المترجم إلى فهم تركيب الجمل والعبارات وترتيبها ، ودراسة مناهجها ، ثم اعتبارها في لغة أخرى مثل ذلك " [١] .

ترجمات معاني القرآن إلى الأردية وأساليبها :

كانت الأولية في الترجمة للقرآن الكريم . الذي هو كتاب الله الخالد للإنسانية جمعاء ، تُرجم القرآن الكريم إلى اللغة الأردية في الهند ، وكان ذلك مبعث خير كثير على مدى التاريخ ، وقام بهذا العمل رجال العلم والدين والأدب ، حتى سهلت الاستفادة من القرآن الكريم ومعانيه لدى الخاصة والعامة ، وكانت للترجمة أساليب مختلفة ومناهج متعددة .

إن أول ترجمة كاملة لمعاني القرآن الكريم وإن كانت مشهورة للشيخ عبد القادر (الذي أتمه في عام ١٢٠٥هـ) ، لكن الدراسات تبين أن عدة تراجم للقرآن ظهرت إلى حيز الوجود في القرن العاشر الهجري ، منها ترجمة الشيخ محمد معظم السنبهلي التي تمت في عام ١١٣١هـ ، ثم ظهر تفسير كامل للقرآن للشاه مراد الله السنبهلي الأنصاري ، باسم " خدائي نعمت " المعروف بالتفسير المرادي ، وقد تم في عام ١١٨٤هـ ، وبعد عشرين عاماً منه ظهرت ترجمة وتفسير الشيخ عبد القادر [٢] ، ثم ترجم أخوه الأكبر الشاه رفيع الدين ترجمة حرفية ، وقد أنارت هذه الترجمة سبيل ملايين من المسلمين [٣] ، وبعد هاتين الترجمتين ظهرت ٥٥/ ترجمة للقرآن الكريم وفقاً لتحقيق العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي [٤] ، وصرح العلامة السيد سليمان الندوي : ب ٧٣ ترجمة

---

[١] معلم الإنشاء : الدرس السابع عشر : ٦٣ ، مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء .
[٢] راجع للتفصيل : اردو تفاسير بيسويں صدي ميں : للدكتور السيد شاهد علي : ٩ – ١٠ .
[٣] مقالات سليمان : ٤٨ ، طبع دار المصنفين ، أعظم جراه ، الهند .
[٤] رجال الفكر والدعوة ج ٤ ، ١٠٥ ، طبع دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ٢٠١٢م – ١٤٣٣هـ .

من القرآن الكريم [1] ، وقد بلغت هذه التراجم إلى ٤٥٠ ترجمةً .

وقد ترجم أهل العلم القرآن من جهتين : ترجمة حرفية ، بحيث ذكروا في ذلك معنى كل كلمة على حدة ، وأخراهما : ترجمة تفسيرية ، وهي تبين المعنى المراد من الكلمات التي تكمن في غضون الآيات .

ترجمة كتب الحديث إلى اللغة الأردية والعربية ومناهجها :

كذلك جرى عمل ترجمة متن الأحاديث النبوية ، وكانت الترجمة مقبولة ، بحيث استفاد الناس من هذا المنهل العذب ، وارتووا من هذا المعين الصافي ، فأول ترجمة لكتب الحديث هو تحفة الأخيار ترجمة مشارق الأنوار للإمام حسن الصغاني (م ٦٥٠هـ) بقلم الشيخ خرم علي البلهوري (م ١٢٦٠هـ) ، رغم أن هناك دلائل على أن أول ترجمة لكتب الحديث هي ترجمة الأربعين النووية باسم : شرح جهل أربعين لمير علي الرضوي بن الحافظ محمد علي ، وكان ذلك في عام ١٢٥٠هـ ، وقد ذكر أن كتاب " تنبيه الغافلين " تمت ترجمته بيد الشيخ عبدالله ولد السيد بهادر علي عام ١٢٤٦هـ ، ونشرت حتى تلقاها الناس بالقبول ، ثم كان في عام ١٢٥٤هـ ترجمة " مشكاة المصابيح " بقلم النواب قطب الدين (م ١٢٨٩هـ) .

ثم توالت التراجم لكتب الحديث ، ومن أبرز المترجمين الشيخ بدر عالم الميرتهي ، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي والنواب وحيد الزمان الحيدرآبادي ، والعلامة السيد سليمان الندوي ، والشيخ محمد منظور النعماني ، والفاضلة السيدة أمة الله تسنيم التي ترجمت رياض الصالحين ، والشيخ عبد القدوس الهاشمي الندوي والدكتور عبد الله عباس الندوي اللذان ترجما كتاب الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري باللغة الأردية .

مثال للترجمة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله تسعة وتسعين اسماً مأة إلا واحدة ، من أحصاها دخل الجنة (رواه البخاري ومسلم) (اللہ تعالی کے ننانوے نام ہیں، جو ان کو یاد کرے گا اور ان کی نگہداشت کرے گا

[1] نقوش سليماني : ١٣٩ – ١٥٥ ، طبع دار المصنفين ، أعظم جراه ، الهند .

وہ جنت میں داخل ہوگا) ترجم بعض شراح الحديث قطعة من أحصاها أي من عدها ، وبعضهم : من حفظها ، وبعضهم : أدى حقها . [1]

ترجمة كليلة ودمنة إلى اللغة العربية :

معلوم لدى أولي البصر والبصيرة أن كتاب كليلة ودمنة هندي الأصل ، صنفه البراهما (وشنو شارما باللغة السنسكريتية) ، في أواخر القرن الرابع الميلادي ، وأسماه بنج تنترا ، (الفصول الخمسة) . ويقال أيضاً : إن ملك الفرس (كسرى أنو شروان) لما علم به أدرك مدى أهميته ، وسعى إلى الحصول عليه للاستعانة به في تدبير شئون رعيته ، فأمر بترجمته إلى اللغة الفهلوية أي الفارسية القديمة من اللغة السنسكريتية ، واختار لهذا العمل طبيبه (برزويه) ، إلا أن برزويه لم يكتف بنقل بنج تنترا ، بل أضاف إليها حكايات هندية ، أخذ بعضها من كتاب المهابهارتا المشهور ، وصدَّر ترجمته بمقدمة تتضمن سيرته وقصة رحلته إلى الهند ، وذلك في القرن السادس للميلاد .

وفي منتصف القرن الثامن الميلادي نقل هذا الكتاب من الفهلوية إلى اللغة العربية ، وذلك على يد الكاتب القدير عبدالله بن المقفع ، فكان فارسي الأصل ، عربي النشأة ، فأنجز هذا العمل ، وكان ذلك سبباً لقتله ، لأن العصر العباسي قد امتلأ بالظلم والاضطهاد ، فكأن هذا الكتاب قدَّم صورة جامعة لسيرة الملوك إزاء الرعايا [2] .

أسلوب الكتاب ومنهجه :

يشتمل هذا الكتاب على مجموعة قصص ، وحوارات على ألسنة الحيوانات ، وذلك بأسلوب ، يجذب القلوب من الفكاهة ، والمتعة ، وهو مثال رائع للأدب الحي ، وقد استعملت فيه اللغة السهلة والواضحة ، فكأن الكتاب يمتزج بأسلوبي العلم والأدب ، يستمتع القارئ خلال دراسة الكتاب بالأمثال الرائعة والحكم البليغة ، والمفاهيم العالية ، بل بتجارب الحياة الناضجة .

---

[1] معارف الحديث للعلامة محمد منظور النعماني ، ج ٥/٦٠ ، مكتبة الفرقان ، لكناؤ .

[2] عبد الله بن المقفع : حياته وآثاره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٩٠م ، ص : ١١٦ .

القرن العشرون الميلادي وأعمال الترجمة :

شهد القرن العشرون نماذج رائعة من الترجمة الأردية والعربية ، فقد تكدست المكتبات العلمية وتضخمت ، وقد توافرت وسائل الطبع والنشر ، فتيسر للمعنيين بها نقل الكتب من اللغات الأخرى إلى اللغة الأردية ، وبالعكس . فإذا استعرضنا الترجمات كلها وجدناها تنقسم إلى عدة أقسام :

(١) ترجمة للكتب الدينية

هناك عدة كتب ترجمت إلى اللغة العربية في الستينيات من القرن المنصرم ، منها كتاب : قرآن آپ سے کیا کہتا ہے للأستاذ محمد منظور النعماني ، قام بترجمته الأستاذ الشيخ سعيد الأعظمي الندوي (رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي ، ندوة العلماء ، لكناؤ) . وقد قرأ الكتاب وتشبع بروحه ، فترجم الكتاب ترجمة ممتازة ، طبع هذا الكتاب أولاً في مجلة البعث الإسلامي ، ثم في صورة كتاب باسم : القرآن يتحدث إليكم ، نشرته الأكاديمية النعمانية لكناؤ ، الهند عام ٢٠١٥م .

(٢) ترجمة للكتب الأدبية

قام العلامة الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي بترجمة أبيات للدكتور محمد إقبال إلى اللغة العربية ، وذلك بعاطفته الجياشة وروح عبارته الأصيلة ، وطبع هذا الكتاب باسم : روائع إقبال ، ونشر من المجمع الإسلامي العلمي ، لكناؤ ، (الهند) ، وقد ترجم بعض الأدباء أبيات الدكتورمحمد إقبال باللغة العربية بالشعر ، لكن ترجمة العلامة الندوي – كما قال النبغاء – فاقت الترجمة الشعرية لفظاً ومعناً .

نموذج من ترجمة الإمام الندوي :

یورپ میں بہت روشنی علم وہنر ہے حق یہ ہے کہ بے چشمۂ حیواں ہے یہ ظلمات	لقد تضخم العلم وتقدمت الصناعة في أوربا ، ولكنها بحر الظلمات ليست فيه عين الحياة
رعنائی تعمیر میں ، رونق میں ، صفا میں گرجوں سے کہیں بڑھ کے ہیں بنکوں کی عمارات	إن أبنية مصارفها تفوق أبنية الكنائس في جمال البناء وحسن المظهر والنظافة

[illegible]	إن تجارتها قمار يربح فيه واحد ويخسر ملايين
یہ علم ، یہ حکمت ، یہ تدبر ، یہ حکومت پیتے ہیں لہو ، دیتے ہیں تعلیم مساوات	إن هذا العلم والحكمة والسياسة والحكومة التي تتبجح به أوربا مظاهر جوفاء ، ليست وراءها حقيقة ، إن قادتها يمتصون دماء الشعوب ويلقون درس المساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية
بے کاری و عریانی و مے خواری و افلاس کیا کم ہیں فرنگی مدنیت کے فتوحات	إن البطالة والعري وشرب الخمر والفقر هي فتوح المدنية الإفرنجية
وہ قوم کہ فیضان سماوی سے ہو محروم حد اس کے کمالات کی ہے برق و بخارات	إن الأمة التي لا نصيب لها من التوحيد السماوي والتنزيل الإلهي ، غاية نبوغها تسخير الكهرباء والبخار
ہے دل کے لیے موت مشینوں کی حکومت احساس مروت کو کچل دیتے ہیں آلات	إن المدنية التي تتحكم فيها الآلات ، وتسيطر فيها الصناعة ، تموت فيها القلوب ويقتل فيها الحنان والوفاء والمعاني الإنسانية الكريمة

يقول الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي عن هذا الكتاب :

" يقدم الكتاب نماذج شعره منقولة إلى العربية نثراً بأدق ترجمة وأروعها ، يتبينها المطلع على اللغتين : اللغة العربية واللغة الأردية التي عبر فيها الشاعر عن تأملاته وأفكاره ، فإنه سيرى فيها الدقة والقدرة على النقل الأمين والروعة البيانية بدون أن تفقد مستواها وحجمها عند اكتسائها للباس لغوي آخر ، وذلك لأن المؤلف كما ذكر لبعض تلاميذه كان يقرأ الشعر أولاً بإمعان ، وينفعل معه انفعالاً فكرياً ودينياً ، ثم كان يصوغه بقالب مشابه لأهله دقةً وبياناً .

فأصبح الكتاب بذلك نموذجاً رائعاً جداً للتعريب من لغة أردو وحده ، بل صار نقلاً لبيانه الشعري أيضاً ، ونصوصاً أدبية بذاتها في اللغة العربية " . [1]

[1] روائع إقبال للعلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي : ٥ – ٦ ، طبع لمجمع الإسلامي العلمي ، لكناؤ .

(٣) ترجمة للكتب الفكرية

ألف الأستاذ وحيد الدين كتاباً قيماً حول الفكرة الإسلامية باسم : علم جديد كا چيلنج ، فترجم هذا الكتاب الدكتور ظفر الإسلام خان (رئيس تحرير مجلة ملي غزت ، دهلي) باسم : الإسلام يتحدى ، وطبع من بيروت والكويت والقاهرة مراراً مع مقدمة رائعة للدكتور عبد الصبور شاهين ، ولا شك أن هذه الترجمة قوية ، بحيث أثارت ضمائر القراء ، وأهاجت شجون العالم الإسلامي ، كما وصفت الدواء الشافي للخروج من الأزمات . وكانت بطاقة شخصية للمؤلف في العالمين العربي والإسلامي .

(٤) ترجمة للكتب التاريخية

ألف العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي سلسلة رجال الفكر والدعوة ، وبدأ هذه السلسلة بالخليفة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) ، وأنهاها على الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وكان مجلده الأول باللغة العربية ، ولكن المجلدات الأخرى ألفت باللغة الأردية ، فترجم المجلد الثاني الشيخ سعيد الأعظمي الندوي ، وأدى حق الترجمة ، وأفاءها ، كما ترجم المجلدات الأخرى الأستاذ السيد سلمان الحسيني الندوي .

هذا كله كان باللغة الأردية ، وأما المؤلفات التي ألفت باللغة العربية وترجمت باللغة الأردية فهي كثيرة ، وفهرسها طويل . نذكر على سبيل المثال :

١. العدالة الاجتماعية في الإسلام لسيد قطب باسم اسلام كانظام عدالت
٢. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة الندوي باسم : انساني دنيا پر مسلمانوں كے عروج وزوال كا اثر
٣. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية للعلامة الندوي باسم : مغربي ممالک ميں اسلاميت اور مغربيت كي كشمكش

وغيرها .

هذا سرد وجيز للكتب المترجمة باللغة الأردية وبالعكس في الهند ، ولا شك أن هذا العمل جرى منذ زمن ولا يزال يجري ، ولا تنقطع هذه السلسلة بإذن الله تعالى ، وقد ترجمت في القرن الحادي والعشرين عدة كتب منها : الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية للشيخ السيد

محمد الرابع الحسني الندوي ، ولا شك أن هذا الكتاب يساعد الإنسانية اليوم على التحول من الفساد والدمار والقلق والتعاسة إلى الصلاح والبناء والطمأنينة والسعادة ، يقول الشيخ عن القرآن الكريم والعلم :

" اس ذات اقدس واعلی کا انسانی زندگی کو روشنی دینے والے اس کلام کے نزول کا اصل آغاز جن آیات سے کیا گیا، ان میں علم کی اہمیت کو مقدم رکھا گیا، اسی کے ساتھ ساتھ علم کو اس کائنات کے خالق ومالک کے نام سے جوڑنے کا حکم دیا گیا ہے، تاکہ علم کا صحیح فائدہ ظاہر ہو ، اور رب العالمین کی رحمت وکرم حاصل ہو، علم کی نعمت وہ نعمت ہے، جس کے ذریعہ انسان کو دوسری مخلوقات پر فوقیت عطا ہوئی، یہ خصوصیت کسی اور مخلوق کو حاصل نہیں " [1] .

(إن الآيات التي بدأ بها نزول كلام الله العلي العظيم ، المنوِّر للحياة الإنسانية ذكر فيها العلم بفائق العناية ، وأمر بربطه باسم خالق ومالك هذا الكون ، لينال الإنسان فائدة العلم الصحيحة ، ويسعد بفضل الله ورحمته ، والعلم نعمة فضل الله بها الإنسان على المخلوقات الأخرى ، لم يسعد به مخلوق آخر) [2] .

هذا قليل من التراث العلمي ، الذي ظهر قبل زمان ، وأثرى المكتبة العربية ، واستفاد العامة والخاصة بالعربية التي يتحلى به جيد هذا الكتاب ، والمعاني التي تحمل عباراته ، ولا شك أن أسلوب هذا الكتاب سهل ميسور ، وهو يوافق طبيعة هذا العصر ، لأن هذا العصر يتميز بالسهولة وإدراك نفسية الناس وتقديم حلول ناجعة له ، فأصاب الشيخ المحز حينما ألف هذا الكتاب ، فجاء هذا الكتاب في أوانه وفي مكانه .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

●●

[1] قرآن مجید انسانی زندگی کا رہبر کامل : ٣٥ ، طبع دار الرشيد ، لكناؤ ، الطبعة الثالثة ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م .

[2] الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي : ٣٩ ، طبع المجمع الإسلامي العلمي ، لكناؤ ، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م .

دور الإعلام وتأثيره في المجتمع الراهن وموقفه من الإسلام

(الحلقة الثانية الأخيرة)

أ . د . مسعود عالم الفلاحي *

دور الإعلام الغربي في بث الصورة النمطية للإسلام والمسلمين :

إن أكثر وسائل الإعلام الغربية بجميع أنواعها نحو الإعلام المقروء والإعلام المرئي و مواقع التواصل الاجتماعي تسعى جادَّة إلى تقديم صور نمطية مشوهة وجامدة ، وإن لهذه الصور التي تقدمها وسائل الإعلام الغربي إلى جمهورها عن الإسلام والعرب ملامح بارزة تتألف منها تلك الصورة المشوهة ، وقد نقل الدكتور عبد القادر طاش دراسة أحد الباحثين لهذه الملامح البارزة المتلخصة فيما يلي :

١. " إظهار العرب في صورة المتناقضين دينياً مع الغربيين ، فهم غير مسيحيين ، ومتطرفون يناهضون الصليبيين .
٢. إظهار العرب في صورة أبطال الروايات الغرامية لألف ليلة وليلة ، الذين لا يهمهم إلا النساء والشراب (الخمر) والجنس .
٣. إظهار العرب بأنهم مصدر المتاعب والإرهاب والعنف .
٤. إظهار العرب بأنهم السبب في الحظر المفاجئ للنفط عن الغرب " . [١]

وصدق الدكتور عبد القادر طاش : " إن المحور الرئيس الذي ترتكز عليه الصورة النمطية المشوهة للعرب ، بكل ملامحها وأبعادها ومظاهرها يتمثل في تشويه صورة الإسلام بوصفه ديناً بدائياً لا يمتلك مقومات الحضارة ، وفي النيل من معتنقي الإسلام بوصفهم متخلفين ومتطرفين دينياً وسلوكياً بالدرجة الأولى ، إن تصوير الإسلام في أبشع صوره وبطرق ممجوجة وغير إنسانية وربط جميع الأحداث والأزمات والتطورات التي تحدث في العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي بالإسلام يُعدُّ النقطة المحورية التي تبدأ منها وتنتهي إليها جميع

* عميد قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خواجة معين الدين الجشتي الأردية والعربية والفارسية ، لكناؤ – الهند . ٢٢٦٠١٣ . البريد الإليكتروني: masoodfalahi@gmail.com ، الجوال: ٩٥٥٩٨٤٠١٣٦ – ٩١ .

[١] صورة الإسلام في الإعلام الغربي ، ٦٧.

خيوط الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الإعلام الغربي " .[1]

وفي بداية الأمر يجب أن نعلم أن أكثر وسائل الإعلام الغربي شريكة وبكل تفان وإتقان في خلق وإشاعة الصورة النمطية للإسلام ، فهو تشويه متعمد يتمثل في الكتاب والصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية والمسرح والقصة والشعر ومن خلال جميع الأشكال الإعلامية من الحوار والخبر والتعليق والكاريكاتير والمسلسل .

وقد أوضح الكاتبون في الموضوع كيف تمكنت فكرة تشويه متعمد للإسلام في جميع الوسائل . وفيما يلي أذكر بعض النماذج البارزة لمختلف وسائل الإعلام حتى يتضح لنا مدى إغراق الإعلام في هذا .

- الصورة النمطية للإسلام والمسلمين في الرواية والقصة :

إن للرواية والقصص تأثيرا قويا في تكوين الأفكار وصياغة الآراء ، وهو فن له رواج ملموس في كل مجتمع ، ومع أن الفن يهدف أساسا إلى التسلية والإراحة الفكرية فهو يبذر فيما بين السطور معاني ومدلولات متصلة بتشويه صورة الإسلام .

يقول عبد القادر طاش : " وقد أسهم الفن الروائي في الغرب في تشويه صورة الإسلام والعرب بشكل ملحوظ . "[2] وفي ذلك يقول جاك شاهين ، " إنه قد قرأ ثلاثين رواية أمريكية ، وإنه إذا أراد أن يصف ما قرأه فيها من صور مشوهة عن العرب ، لاحتاج إلى أن يؤلف عدة كتب . "[3]

وعلى سبيل المثال أذكر هنا قصة إبدايك التي جاء فيها : " ثم يتحدث عن أحد المسلمين الذي سقط في الانتخابات بعد سلسلة من الفضائح الجنسية (منها أن اثنتين من سكرتيراته وليس واحدة حملتا سفاحاً) ، وعن آخر يغتال أحد المعارضين له في مدينة نيويارك . . . . . "[4]

وجاء في رواية أخرى على لسان عربي من أشخاص روايته قوله : " إن الإسلام لا يستطيع أن يعيش بسلام مع الآخرين ، إنه عدواني بطبيعته ،

---

[1] المرجع السابق ، ص٦٧ – ٦٨ .

[2] المرجع السابق ، ص ٦٨ – ٦٩ .

[3] جاك شاهين ، وسائل الإعلام الأمريكية والصورة النمطية للعرب ، بحث منشور في " الإعلام الغربي والعرب " : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن ١٩٧٩م ، (الإمارات العربية المتحدة ، وزارة الإعلام والثقافة ، د . ت) ، ٢٦ . نقلا عن صورة الإسلام في الإعلام الغربي ، ٦٩ .

[4] صورة الإسلام في الإعلام الغربي ، ٧٠ .

والعرب هم الأسوأ ، إننا لا نستطيع أن نتعايش معاً . "[1]

- صورة الإسلام في الموسوعات والكتب المدرسية :

المأمول أن العلماء وأساتذة الجامعات والباحثين الأكاديميين يتحلون بالروح العلمية والأمانة والموضوعية ، وأن تتحلى بحوثهم ودراساتهم بالمصداقية ، ولكن أكثر الباحثين الغربيين يفتقدون هذه الصفات الهامة التي يطالبون بها غيرهم ، وقد قام عدد من الباحثين بمراجعة علمية لعدد من الموسوعات الغربية الشاملة للوقوف على صورة العرب فيها ، فوجد أكثر الباحثين تعصبا كبيرا وتغافلا عجيبا في هذه الموسوعات .

وعلى سبيل المثال أذكر بعض النماذج التالية :

- ذكر زياد أبو غنيمة تشويهات دائرة المعارف البريطانية للإسلام والعرب ، فقال : إن الموسوعة تذكر أن محمدا " زعم " أنه نبي مرسل من الله ، وأنه أعظم الأنبياء وخاتمهم ، وأن المسلمين يعبدون محمداً ويعتقدون أن الكون خلق من نو ر محمد . "[2]
- يصف ديدرد المحرر في الموسوعة الفرنسية ، الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه " قاتل دجال ، وخاطف نساء ، وأكبر عدو للعقل الحر . "[3]

وكفى بها شاهدة على ما في الموسوعات الأخرى من صور وعبارات استفزازية كريهة جدا .

ومن أهم " المغالطات التي وردت في الكتب الدراسية الفرنسية نسبة القرآن إلى محمد ، [عليه الصلاة والسلام] والزعم بأن الإسلام ديانة توفيقية جاءت معظم تعاليمها من التقاليد والأعراف المأخوذة من المسيحية واليهودية . "[4]

- صورة الإسلام في الصحافة المطبوعة :

إن الصحافة الغربية المطبوعة قد تجاوزت كل حد في تشويه صورة الإسلام ، لاسيما بعد قيام دولة إسرائيل الغاشمة ، وإيثارا للإيجاز أذكر هنا دراسة واحدة قام بها الاتحاد العام لطلاب فلسطين ، وهي تدور حول الكتابة

---

[1] مصطفى الدباغ ، الحرب النفسية الإسرائيلية ، (الأردن ، مكتبة المنار ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ، ١١٢ .

[2] زياد أبو غنيمة ، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية ، (عمان ، دار عمار ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ١١٦ .

[3] المرجع السابق ، ١١٦ .

[4] صورة الإسلام في الإعلام الغربي ، ٧٨ .

الصحفية الألمانية الغربية حول الشرق الأوسط على مدى سنتين من ١٩٦٧م إلى ١٩٦٩م ، وقد أوضحت الدراسة أن العناوين التي ظهرت بها الصحف الألمانية حول العرب كانت مختلفة عن تلك التي وصف بها الإسرائيليون ، فمن العناوين الصحفية حول العرب ما يلي بعضها :

١. " اقتلوا اقتلوا " .
٢. " إن هذا يزيد حقدنا بالتأكيد " .
٣. " القسم بالانتقام " .
٤. " فلوس السينما من أجل الإرهاب " .
٥. " هم كلابنا " .
٦. " القنابل في الأراضي المقدسة " .
٧. " إرهابيو الجبهة الشعبية " .
٨. " البربرية " .
٩. " تكتيك الفدائيين العرب " .
١٠. " استعمال الوحشية للوصول إلى النصر " .

أما العناوين الصحفية حول إسرائيل فمنها ما يلي :

١. " أغنية الأبطال تعزف من جديد : حقيقة الانتصار الإسرائيلي " .
٢. " تبرعوا لأطفال إسرائيل " .
٣. " وأخيرا عدنا من سيناء " .
٤. " منذ عشرين عاما تحارب إسرائيل من أجل وجودها ضد العرب" .
٥. " الإنسانية عوضا عن الوحشية " .
٦. " سلام على إسرائيل " .
٧. " المنتصر البسيط " .
٨. " بواسل لكن وحدهم " .
٩. " الدم يستصرخ السماء " .
١٠. " إسرائيل مستعدة للتفاوض " .
١١. " إسرائيل تعلن الدفاع الفعال عن الذات " . [١]

أما الكاريكاتير السياسي الذي تنشره أكثر الصحف يوميا فهو في هذه الأيام سلاح فعال في معركة تشويه صورة الإسلام والعرب في الصحافة الغربية ، ويركز الكاريكاتير السياسي في الصحف الغربية على تكريه صورة الإسلام والعرب ، فهو يمثل رسول الإسلام محمدا صلى الله عليه وسلم تارة في صورة

[١] سامي مسلم ، صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية ، الطبعة الثانية ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٦م) ، ٦١ – ٧٦ .

إنسان بدوي جاهل لا يعرف من الحضارة شيئا ، وتارة في صورة رجل إرهابي متعطش للدماء وتارة في صورة رجل يريد الملك والمال بكل حيلة ممكنة . وإذا كان هذا هو سلوكهم بأقدس شخصية في التاريخ فما ظنكم بما يمت إلى الإسلام بصلة من حضارة وتعاليم وعرب ودول عربية وتقاليد سائدة عندهم .

- صورة الإسلام والمسلمين في السينما والتلفزيون :

إن لوسائل الإعلام المرئية وخصوصا التلفزيون قدرة فائقة على التأثير والتوجيه ، وذلك بما لها من خصائص متميزة في تقديم الصورة مصحوبة بالصوت وتجسيد الحدث والفكرة ، وأصبح التلفزيون في الدنيا كلها الموجه الأول للرأي والسلوك ، بوسعه أن يحدث ذبذبة هائلة في العالم كله بين صباح و مساء .

تقول دراسة : إن النشريات الأمريكية بنوعيها الرسمية وغير الرسمية تستغرق ٢٤ ساعة على مدار اليوم والليلة ، وإن ١٥٠ مليون من الأمريكان يستمعون لراديو يوميًّا ، وتفيد دراسة أن ٩٠٪ من البرامج تعمل في تشويه صورة الإسلام وإثارة الافتراءات والأكاذيب ضد الإسلام والمسلمين .[١]

" ومن هذا التأثير البالغ للسينما والتلفزيون تكتسب عملية تشويه صورة الإسلام والعرب في العقلية الغربية أهميتها وخطورتها . وقد بدأت السينما منذ مراحلها الأولى في تشويه الشخصية العربية عند ما ظهرت في العشرينات أفلام سينمائية تصور العربي في صورة شيخ شبق جنسيا ، لا يعرف سوى النساء ، وكانت صورة العربي مقترنة دائما بالجمل والصحراء والبداوة . وبعد قيام الكيان الصهيوني في فلسطين حفلت فترة الأربعينات والخمسينات بعدد من الأفلام السينمائية التي تصور العربي بأنه (رجعي متعصب ، ماكر ، كاذب ، لا ذمة له ، نهم جنسيا ، وكسول) . ومن أهم أفلام هذه الفترة (لص بغداد)[٢] و (كابتن سندباد)[٣] ، و (الصليبيون الجبابرة) ، و (هجوم الصحراء) و (طيران العنقاء)[٤] .

وقد أضيفت إلى الصفات السابقة بضع صفات جديدة مع تطور الأحداث في العلاقة بين العرب من جهة والغرب والصهيونية من جهة أخرى ، وذلك بعد حرب ١٩٦٧م ، ثم بعد حرب عام ١٩٧٣م . ومن تلك الصفات الجديدة صورة " العربي الهارب الجبان " ، و " الزعماء الفاسدين المتعصبين المتهورين " . ومع صعود حركة المقاومة الفلسطينية أضيفت صورة " الإرهابي المتعصب المتعطش للدماء " . وبعد حرب ١٩٧٣م وحظر النفط برزت صورة أخرى هي

---

[١] مغربی میڈیا اور اس کے آثرات (الاعلام الغربي وآثاره) ، ١٤٥ .
[٢] The Thief of Baghdad (١٩٤٠)
[٣] Captain Sindbad (١٩٦٣)
[٤] The Flight of the Phoenix (١٩٦٥)

صورة " شيخ النفط الغني الذي يسيطر على مقدرات العالم ، ويحاول قطع الشريان الحيوي الذي يمد أمريكا والعالم بالحياة .

ومن أهم الأفلام السينمائية التي ظهرت في فترة السبعينات فيلم (الريح والأسد) [1] . ويروي قصة اختطاف العرب فتاة أمريكية ومطالبتهم " الرئيس روزفلت " بفدية . [2] وإلى غيرها من الأفلام السينمائية الكثيرة التي غرست الكراهية للإسلام والمسلمين ، وتمثل المسلمين كالمتطرفين والإرهابيين ، وبعض منها :

١. Wrong is Right (١٩٨٢) (الغلط هو الصحيح)
٢. True Lies (١٩٩٤) (الكذب الصحيح)
٣. The Kingdom (٢٠٠٧) (المملكة)
٤. Rendition (٢٠٠٧) (تسليم المطلوبين)
٥. Body of Lies (٢٠٠٨) (جسد الكذب)
٦. The Hurt Locker (٢٠٠٨) (الألم الجسدي الذي لا مفر منه)
٧. Unthinkable (٢٠١٠) (ما وراء الفهم)
٨. Innocence of Muslims (٢٠١٢) (معصوم المسلمين)

وكما قلت : إن وسائل الإعلام الغربي تنشر الصورة النمطية للإسلام والمسلمين بين جميع شرائح الناس ، فالتلفزيون الغربي تعوّد على تكريه صورة الإسلام والعرب في برامج الأطفال الأبرياء ، التي يقضي الأطفال عليها أوقاتا كثيرة ، فالأطفال يشاهدون أن أبطالهم المحبوبين ينتصرون على العرب الأشرار ، وينقذون العالم من مكائدهم وشرورهم ، " فهذا وودي ود بيكر يحشر جنياً عربياً داخل قمقمة ، وهذا بوباي يستعرض عضلاته المعهودة في تأديب شيخ عربي يرتدي ملابس الذئب . والرجل الوطواط يقذف بيضة فاسدة في وجه أحد السلاطين العرب ، وهذا لا فيرن وشيرلي يحبطان محاولة أحد الشيوخ العرب لغزو أمريكا وتدمير العالم . وعند ما يحاول ساحر عربي تحويل سكوبي دو إلى قرد ينقلب سحره عليه ، فيتحول العربي نفسه إلى قرد . وفي مسلسل طرزان نرى العرب يقتلون النساء والرجال السود ، ويبيعون الأولاد السود في سوق النخاسة . "

وإذا كان الأطفال يستوعبون مثل هذه المفاهيم المغلوطة والصور النمطية عن الإسلام والمسلمين فلا جرم تظهر آثارها السيئة على سلوكهم

---

[1] The Wind and the Lion (١٩٧٥)
[2] صورة الإسلام في الإعلام الغربي ، ٩٧ – ٩٨ .
[3] المرجع السابق ، ١٠٤ – ١٠٥ .

وتعاملهم مع المسلمين والعرب عندما يصبحون كباراً .

وكان المدعو سام باسل [Sam Bacile] – واسمه الحقيقي ناكولا باسسلي ناكولا(Nakoula Basseley Nakoula) – من أقباط مصر ، المقيم في مدينة أمريكية كيليفورنيا قد تجاوز كل حد في إهانة رسول الإسلام ، فأخرج فيلما باسم " معصوم المسلمين " [Innocence of Muslims ٢٠١٢] ، وصف فيه الرسول بالرجل الكاميدي وظئر النساء والمولع بالزواج المثلي وسفك الدم وما إليها من أقبح الصفات وأشنع الخصال .[١]

هجمة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ مسرحية التلاعب بالعقل الإنساني وثورة في عالم التسامح والاحترام المتبادل . إن هجمة ١١ سبتمبر كانت تحولا تاريخياً عجيباً في الاتجاه الغربي نحو الإسلام والمسلمين ، كان العقل الصهيوني وضع لها خطة خطيرة محكمة النسج ، بالغة التأثير ، فبدأ الصهاينة يفكرون قبلها بأعوام في سبل الهجوم الدامي وكيفية توجيه التهمة إلى المسلمين ، فقاموا بدراسات مكثفة لعدد المسلمين في أمريكا ونشاطاتهم الاجتماعية والدينية ومكانتهم في الاقتصاد والسياسة ، وتأثيرهم في المجتمع الأمريكي ، ثم أخرجوا عددا من الأفلام يسيئ سمعة الإسلام والمسلمين ، ويعتبرهم خطرا كبيرا على أمريكا كلها ، وانقطع الإعلام الصهيوني إلى تشويه صورة الإسلام في المجالات كلها ، وأثاروا أن المسلمين في تزايد مستمر ، وأنهم إذا تعايشوا في أمريكا بكل حرية ستكون لهم آثار خطيرة تذهب برواء الثقافة الأمريكية ، وما إليها ؛ حتى جاء ذلك اليوم الأسود في تاريخ أمريكا ، ونفذت الهجمة[٢] ،

---

[١] https://en.wikipedia.org/wiki/Innocence_of_Muslims

[٢] وهناك آثار ودلائل تؤكد على أن الهجمة كانت في غاية الإعداد والتخطيط ، يقول الشيخ نذر الحفيظ الندوي : " في ٢٦ / فبراير ١٩٩٢ تم تفجير في مركز التجارة العالمي ، ونسب إلى الإسلام والمسلمين ، واتخذ ذريعة للطعن في الإسلام ، لاسيما المسلمين المقيمين في أمريكا ، ليتم فرض الحظر على دخولهم في أمريكا ، ويُعتبر المسلمون خطرا كبيرا على النصارى واليهود والعالم الراقي . " (مغربی میڈیا اور اس کے آثرات (الإعلام الغربي وآثاره) ١٤٧) ، يضيف الشيخ قائلا : " وبعد تخطيط تفجير مركز التجارة العالمي في عام ١٩٩٢م أصدر هاليوود فيلما باسم الكذب الصحيح [True Lies ١٩٩٤] ، كان منتجه [جيمس كيمرون James Cameron] وممثله النجم آرنالد شورزكر[Arnold Schwarzenegger] ، جاء فيه ذكر مليشيا عربي فعال جعل شعاره " حرية الإسلاميين " . وهم يحاولون هدم مبنى التجارة العالمي والمباني المجاورة ، فيوردون إلى أمريكا المواد المتفجرة والقنابل الشديدة كما أنهم يغصبون الطائرات ويريدون بذلك هدم المبنى ، لكن جاسوسا أمريكيا وزوجته

وفعلا أثار الإعلام كخطة محكمة أن المسلمين هم وراء الهجمة ، وطالب الحكومة الأمريكية بفرض الحظر على دخول المسلمين في أمريكا ، وطرد المقيمين منهم ، مما أثار العجب لدى الحكومة الأمريكية نفسها ، فما ثبت عندها تورط المسلمين الأمريكان في عمليات تهدد الدولة .

أما أنه كيف تمكن الإعلام اليهودي من توجيه الحادثة إلى المسلمين فمن المناسب أن نقف قليلا مع العناوين الصحفية بعد الهجمة ، فكان أول عنوان في صحيفة نيويارك تائمس (New York Times) بعد الهجمة : " اعتقال مسلم متطرف " ، وكان عنوان المجلة الناطقة بلسان اليهود الاشتراكيين : يتواجد في حديقتكم أفعى التشدد " ، وكان عنوان " جيوش بريس " : الأصولية الإسلامية هو خطر كبير على العالم كله " ، وكان العنوان الذي عقده أي . دي . ايل . (ADL) تمثل في قوله " حماس ، والجهاد الإسلامي والإخوان هو خطر التشدد على أمريكا " ، بينما نشر في صفحته الأولى منارة المسجد وكتب عليه " إن منارة المسجد هي رمز التشدد والهمجية كالبندقية " ، وكان عنوان نيوز ويك Week)News) " اسمعوا وعوا ، فالمسلمون المجاهدون قادمون " ، وتقدمت مجلة فرنسية " لي بوائنت " (Le Point) خطوة ، فنشرت على صفحتها الأولى صورة امرأة مسلمة منتقبة ، بيدها بندقية ، وكتبت : حتى المرأة المسلمة حاملة لواء التطرف " .[1]

وفي ١٥/ سبتمبر ٢٠٠١م نشرت صحيفة بريطانية سندي تيليغراف (The Sunday Telegraph) مقالا هاما ، كان عنوانه " هل الإسلام يدفننا " ، وفي نفس اليوم نبهت صحيفة بريطانية سندي تائمس (The Sunday Times) العالم الغربي على أن الإرهاب الإسلامي قد تمكن في المناطق الممتدة من شاطئ النهر الأبيض المتوسط إلى حدود الصين ، مما يؤكد على الاستعداد العاجل لمقاومته " .

وفي تصريح صادر عن هنري كيسنجر (Henry Alfred Kissinger) في ١٥/ سبتمبر ٢٠٠١م أكد كيسنجر على أنه يجب أن نقوم اليوم بدلا من الغد ضد التطرف الإسلامي والإرهاب الإسلامي .[2]

وكانت الهجمة على أمريكا – التي نفذتها أعداء الإسلام والمسلمين

اطلعا على إرادتهم الخبيثة ، فاضطراهم إلى التخلي عن إرادتهم ، وإضاعة المواد المتفجرة ، وبذلك ينجو المبنى العالمي والمباني الأخرى . " (المرجع السابق ، ٣٢) .

[1] انظر : المرجع السابق ، ١٤٧- ١٤٩.

[2] المرجع السابق ، ٣١ .

والإنسانية – ترمي إلى غايات بعيدة المدى ، وضربة قوية على الكيان الإسلامي في أمريكا ، وكان من أهدافها الجليلة :

- تقليل نشاطات المسلمين السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية في المجتمع الأمريكي .
- تضييق النطاق على المسلمين في أمور المواطنة والإقامة والاقتصاد ؛ حتى لا يؤثر في النشاطات اليهودية ونشاطات أعداء الإسلام والمسلمين والإنسانية .
- مطالبة الحكومة الأمريكية بإلجاء الحكومات العربية إلى الضغطة الشديدة على الممارسات الدينية في البلاد الإسلامية .
- إيجاد رأي عام ضد الصحوة الإسلامية النامية في البلاد الإسلامية ومساندة إسرائيل في جميع العمليات المتطرفة ضد الفلسطينيين .[1]
- أريد استقطاب العلماء والمثقفين – الذين دائما يرددون كلمة الإنصاف والديمقراطية – إلى أنه من المعلوم لدى الجميع أن من أوجد حركات " جهادية " كالقاعدة وطالبان وما إليها ، وإذا كانت هذه الحركات تقاتل الروس تصفها وسائل الإعلام بأنهم مجاهدون مغامرون ، وحتى اليوم تصفهم مجاهدين أبطالا ، فجاء في نشرة بي بي سي الأردية (١٩/ ٥/ ٢٠١٦م) تقرير وصف غلبدين حكمت يار[2] (المولود ١٩٤٧) رئيس الحزب الإسلامي ببطل الجهاد الإسلامي ، بينما تم وصف هؤلاء المجاهدين الأحرار من قبل وسائل الإعلام بأنهم متشددون إرهابيون أصوليون بعد هجمة ٩/ ١١ . وفيه إشارة قوية إلى أن من يدير دفة أمور الإعلام العالمي .
- الإعلام الهندي ودوره في نشر إسلاموفوبيا :

أكثر الإعلام الهندي ظل كلا على وكالات الأنباء اليهودية والغربية ، وإن ما ينشره أكثر الإعلام الهندي من أنباء ودراسات يأتي جميعه مصبوغا بصبغة غربية تفيض تعصباً وحقداً للإسلام .

والحاصل أن أكثر الإعلام الهندي هو ساعٍ بخطى حثيثة وراء تحقيق

---

[1] انظر : المرجع السابق ، ١٤٩- ١٥٠ .

[2] " اتفاق السلام مع حكمت يار " ، وبقى توقيع الرئيس ، (حکمت یار کے ساتھ 'امن معاہدہ' ،صدر کے دستخط ہونا باقی) .

الصحيفة الأردية على الإنترنت بي بي سي ، ١٩/ ٥/ ٢٠١٦م .
http://www.bbc.com/urdu/regional/٢٠١٦/٠٥/١٦٠٥١٨_afghanistan_hikmatyar_agreement_rh

ما يصبو إليه أكثر الإعلام اليهودي والغربي من اعتبار كل المسلمين إرهابيين همجاً ، وطائفة بشرية تجهل معنى الثقافة والخلق ، وإبعاد الناس من الإسلام والمسلمين لئلا يتأثروا بهم ، أو لا يطلعوا على حقيقة الأمر .

وعلى سبيل المثال أذكر أن هندوستان تائمس اليومية (The Hindustan Times) نشرت في ١٥يناير ١٩٩٧م ملفا خاصا بكشمير ، فكان عنوانه " أ تعنى الله ، وب تعنى بندقية " ، وكان الملف كله مليئا بالحقد على الإسلام والمسلمين ، يهدف إلى إثبات أن المدارس الإسلامية هي أوكار الإرهاب والأصولية ، وأكد ممثل يو . إين . آئي (U .N .I) [١] أن هذه المدارس تعلم الدين ، والعربية التي هي لغة أجنبية ، وأنها تعطي الإجازة في الجمعة دون الأحد ، كما أنها تلقن معاني الكراهية والاشمئزاز ، وأساتذتها هم يحملون سيرة مشكوك فيها .

وظلت المدارس الإسلامية موضع اتهام وارتياب لدى أكثر الإعلام الهندي ، وأثار دعايات مكثفة ضدها ، فمن الأكاذيب الشائعة أن المدارس العربية الإسلامية هي مراكز آئي . آئس . آئي (I.S.I.) [٢]

وإذا مارس الإرهاب غير المسلمين يعتبره أكثر الإعلام الهندي حادثة طبيعية ، ولا ينسبها إلى قوم وجماعة ، أما إذا كان الحادث ذا صلة بالمسلمين حقيقة أو دعاية فيتسارع أكثر الإعلام بوسائله الكثيرة إلى ربطه بالإسلام والمسلمين بغض النظر عن شخصية الفاعل .

ومن ثم اعتبر أكثر الإعلام الهندي هُدَّام المسجد البابري جماعة متطوعة ، مع أن عملهم لم يكن إلا إرهابا محضا ، لطّخ جبين الهند بالعار والشنار ، وأن الهجوم الإسرائيلي على قاعدة الأسلحة العراقية أو على صابرا وشاتيلا في لبنان أو على الفلسطينيين العزل لا يعتبره أكثر الإعلام الهندي إرهابا ؛ وإنما هو دفاع عن الذات ، أو دليل على نشاط حربي أسرائيلي أو محاولة في سبيل استقرار الأمن في المنطقة ، ثم هذه الحوادث الإرهابية التي يمارسها غير المسلمين لم تجعل اليهود والهندوس والنصارى إرهابيين .

شهدت الهند في تاريخها الطويل لاسيما بعد استقلال الهند ألوفا ألوفا من الإغارات الطائفية المفاجئة التي شنها المتعصبون من الهندوس على المسلمين الأبرياء وقتلوا ألوفا من المسلمين رجالا ونساء وصغارا وكبارا ، ولكن أكثر

---

[١] United News of India هي وكالة الأنباء الهندية .

[٢] Inter-Service Intelligence هي منظمة حكومية باكستانية لخدمات الاستخبارات عبر العالم .

الإعلام الهندي ظل ساكتا على مثل هذه الجرائم النكراء ، ولم يعتبر ممارسيها إرهابيين . وأذكر هنا بعض مظاهر أكثر الإعلام الهندي في نشر إسلاموفوبيا :

- إن مدينة الأفلام الهندية (باليوود) تصدر بين فينة وأخرى أفلاما تمس من المسلمين وتعتبرهم إرهابيين دون الأمم الأخرى ، وهذا شائع في الأفلام الهندية نحو :

١. Roja (١٩٩٢) (روجة)
٢. Sar Faroosh (١٩٩٩) (المغامر)
٣. Maa Tujhe Salam (٢٠٠٢) (سلام عليك يا وطن)
٤. Escape from Taliban (٢٠٠٣) (تجنب من طالبان)
٥. Zameen (٢٠٠٣) (الأرض)
٦. Fanaa (٢٠٠٦) (الفناء)
٧. Mission Istambul (٢٠٠٨) (هدف اسطنبول)
٨. A Wednesday (٢٠٠٩) (يوم الأربعاء)
٩. Kurbaan (٢٠٠٩) (الضحية)
١٠. New York (٢٠٠٩) (نيويارك)
١١. Agent Vinod (٢٠١٢) (ونود العميل)
١٢. Phantum (٢٠١٥) (الحلم والتفكر)
١٣. Baby (٢٠١٥) (الطفلة)

- كثير من المنظمات الهندوسية تتورط في عمليات الإرهاب وقذف القنابل وهدم المعابد والمساجد ؛ مما حصد أرواح الألوف من المواطنين الأبرياء ، وقد ثبتت لهم جرائم ببراهين قاطعة ، ولكن الحكومة لا تمارس الجدية في البحث عن الحقيقة ، بل تغطي الحقائق بأوهام من الشبه ، فتدافع عن المجرمين ، وهذا ما يردده الإعلام صباحا ومساء ، فكأن الناس كلهم سلميّون إنسانيو النزعة ، إلا المسلمين .
- قامت نداءات ومطالبات كثيرة لتضع الحكومةُ الهندية المنظمات الهندوسية المتطرفة بجرنغ دل (Bajrang Dal) ، وجنود الإله " رام " (Shri Ram Sena) ، أبهينو بهارت (Abhinav Bharat) وما إليها في قائمة المنظمات الإرهابية ؛ ولكن الحكومة لم تُلْقِ بها بالا ، وتنادي بأسماء المنظمات الإسلامية الإرهابية المزعومة ، وأكثر هذه المنظمات لا يُدْرَى لها أثر ولا خبر ، ولكن وسائل الإعلام تؤيد الدعايات الحكومية .

- وقد بلغ من تعصب أكثر الإعلام الهندي أن المحاكم الهندية إذا أعلنت براءة المسلمين الذين زُج بهم في السجون أعواما بحجة الإرهاب لا يهتم أكثر الإعلام بمثل هذه الأنباء ، وإذا حدث حادث إرهابي مجهول الفاعل يرمي أكثر الإعلام اتهام المسلمين جزافا ، بل يُصَدِّعُ الرؤوس بترديده المتواصل ، كأنه خبر قاطع لا يُجحد .
- ولما قام الرسام الشهير فدا حسين (١٩١٥- ٢٠١١م) بتصوير بعض آلهة الهندوس قضت المحكمة باعتقاله مما أدى إلى فراره إلى قطر ، فلقي حتف أنفه ومن جانب أن أكثر الإعلام يذكر الشخصيات التي لعبن دورا بارزا في تشويه صورة الإسلام بصورة الأبطال . نحو سلمان رشدي (المولود١٩٤٧م) وتسليمة نسرين (المولودة ١٩٦٢م) وأمثالهما .
- إن هناك ممارسات غير أخلاقية يكثر وقوعها في البيوت الهندوسية كالزنا بالمحارم وما إليها ؛ لكن أكثر الإعلام يبقى ساكتا ، كأن لم يحدث شيئ ، ولكن إذا حدث في المجتمع الإسلامي ما ينافي الوقار والحشمة يطيره أكثر الإعلام ويقيم العالم ولا يقعده .
- أكثر الإعلام يردد بعض الأنباء الكاذبة حول ما يحرض الهندوس على المسلمين نحو لحوم البقر ، مما يدفع المتعصبين منهم إلى الهجوم العشوائي على المسلمين ، وقد زهقت بذلك أرواح مسلمة كثيرة .
- ومن الدعايات الكاذبة التي يثيرها الإعلام الهندي أن عدد المسلمين في تزايد مستمر بشكل مدهش ، وعدد الهندوس في تقلص ملحوظ ، مما يستغله قادة الهندوسة باستثارة عواطف الهندوس ضد المسلمين ويشيرون عليهم بكثرة توليد الصبيان ، بل قد يتم إعلان الجوائز الخطيرة على كثرة الولادة .[1]
- وخوفا من زيادة عدد المسلمين حُرمت الطبقات المَنْبُوذَة المسلمة (الطبقة

---

[1] تمنح شيو سينا جائزة إلى أسرة هندوسية لديها خمسة أولاد (Shiv Sena to Award Hindu Families Having Five Kids) ، المجلة الإنجليزية الأسبوعية على الإنترنت "آوت لك" ، الهند ،٢٠١٥/٠٨/١٩.
http://www.outlookindia.com/newswire/story/shiv-sena-to-award-hindu-families-having-five-kids/٩١١١٤٧
على الهندوس أن يلدوا ثلاثة أولاد على الأقل: سدرشن ،(ہندو کم کم سے ۳ بچے پیدا کریں: سدرشن. ــ كان سدرشن رئيس آر ايس ايس الأسبق ــ) الصحيفة الأردية اليومية "راشتريه سهارا" دلهي الجديدة ، الهند ، المجلد:٧ ، العدد: ٢٣٣٥ ، ١١/١٨ /٢٠٠٥م ، الصفحة الأولى.

الدَنِيّة والسُفْلَى أي الأَراذِل Dalit Muslims) من المراعاة الخصوصية في الوظائف والتعليم المسماة بـ[1] S.C. Reservation، وجُعل اعتناق الهندوسية شرطا للحصول على المراعاة الخصوصية ، وإن كان من الطبقة المنبوذة الهندوسية من ارتد عن الهندوسية حرم المراعاة ، وإن عاد إلى الهندوسية بعد ذلك عادت مراعاته ، مع أن جميع الطبقات الدنية أي الطبقات المنبوذة (Dalits) من كل ديانة تأخذ المراعاة الخصوصية منذ العصر الإنجليزي ، وقد أقره الدستور الهندي أيضا ؛ ولكن حكومة الكانغرس وحزب كانغريس (حزب المؤتمرCongress) أصدرت قرارا حكوميا في ١٩٥٠م ، خص المراعاة الخصوصية بالطبقة المنبوذة من الهندوس فقط ، وقد دخل فيه الطبقة المنبوذة السِّيِّخِيَّة عام ١٩٥٦م ، والطبقة المنبوذة البوذية عام ١٩٩٠م ، ولكن مازال المسلمون المنبوذون والنصارى المنبوذون محرومين من هذه المراعاة ، وكان القصد من هذا القانون أن المراعاة إن عمت المسلمين أسلمت جميع الطبقات المنبوذة من الهندوس ، وعاد المسلمون أكثرية في البلاد ، والهندوس أقلية ، وعاد هذا القصد يعلن من على المنابر الحكومية ، وقد رفعت الطبقة المنبوذة من المسلمين والنصارى الأمر إلى المحكمة العليا منذ عام ٢٠٠٤م شاكية تحامل الحكومة وظلمها على الطبقة المنبوذة من المسلمين والنصارى ، وطالبت المحكمة الحكومة بالجواب عن السلوك الانحيازي فعادت الحكومة تماطل ، حتى قامت حكومة بهارتيا جنتا بارتي (B .J .P .) ،

---

[1] هناك طبقة عليا (Upper Castes) ، وطبقة متوسطة (Backward Castes) وطبقة دَنِيَّة/ سُفْلَى (Dalit/ Untouchable Castes) في كل ديانة بشمول الإسلام في الهند المتحدة (الهند ، الباكستان و بنغلا ديش) لما قبض البراهمة (Brahmin) على الهند جعلوا سكان الهند الأصلاء عبيدا لهم وقسموا الناس بين الطبقات. ووضعوا أنفسهم في الطبقة العليا ، وبعض الطبقات الهنود في الطبقة المتوسطة وبعضهم في الطبقة الدنية/السُفلى. وخصصوا كل شئي حسن لهم وحرموه على الطبقات المتوسطة والدنية. فصارت هذه الطبقات فقيرة. وفعل أكثر الملوك المسلمين هكذا بالطبقات المتوسطة والدنية الهندوسية/المسلمة سواء. وفتح الإنجليز باب العلم والرزق لهذه الطبقات وخصصوا المراعاة الخصوصية لها في الوظائف والتعليم لتعيش حياة حسنة وتسكن في المجتمع بالاحترام ، وجرى هذا القانون فيما بعد الاستقلال الهندي أيضا. والمراد بالمراعاة الخصوصية هو S.C. Reservation.

(انظر للتفصيل: مسعود عالم الفلاحي ، *هندوستان میں ذات پات اور مسلمان*(الطبقات القبلية في الهند والمسلمون) ، الطبعة الثانية الجديدة (ممبئي ، آئيديل فاونديشن ، والتوزيع ، فريد بك دبو ، دلهي الجديدة ، الهند ، ٢٠٠٩م).

التي خالفت المراعاة للمسلمين ، وقال وزير العدل الاجتماعي المركزي السيد تهور تشاند غهلوت(Thavar Chand Gehlot) : إن المراعاة الخصوصية للمسلمين والنصارى تجعل تغيير الأديان أمرا كثير الوقوع [1] ، أما الطائفة الهندوسية " آر ايس ايس " (R.S.S.) فهي تخالفها منذ أمد بعيد [2] ، ونظرا إلى الخوف من زيادة عدد المسلمين وُضِعَت قوانين تحول دون اعتناق الإسلام ، ولكن باسم " العودة إلى الدار " تجري محاولات لارتداد المسلمين ، يا للعجب ! والواقع أن المسلمين أكثر من الهندوس ، فالكتب الهندوسية تصرح بأن الطبقة العليا لا سيما البراهمة هم الهندوس لا غير ، وقد بدأت حركة إدخال الطبقات السفلى والمنبوذة [3]

---

[1] سوبودهـ غلديال (Subodh Ghildiyal) ، عارضت الحكومة المراعاة الخصوصية لتاركي الديانة الهندوسية (Govt. opposed to Dalit status for converts) ، الصحيفة الإنجليزية اليومية على الإنترنت "تائمس آف إنديا" (Times of India) ، ٢٠١٤/١٠/١٠م.
http://timesofindia.indiatimes.com/india/Govt-opposed-to-Dalit-status-for-converts/articleshow/٤٤٧٦٥٨٥٨.cms
أنتو أكّارا (Anto Akkara) يقول الوزير الهندي: لا مراعاة خصوصية لـ (الطبقة المنبوذة من) المسحيين (India minister says no special caste status for Christians) الصحيفة الإنجليزية على الإنترنت "ورلد واتش مانيتر"(World watch Monitor) ، ٢٠١٤/١٠/٢٧م.
https://www.worldwatchmonitor.org/٢٠١٤/١٠/article_٣٤٤٣٣٢٨.html/

[2] الصحيفة الأردية اليومية على الإنترنت "سياست"(Siasat) حيدر آباد ، الهند ، ٢٠٠٧/١١/٢١م.
http://siasat.com/urdu/images/news/content/٢١_i٦_text.gift١١\\٢١\\٢٠٠٧.

[3] انظر للتفصيل هندوستان میں ذات پات اور مسلمان(الطبقات القبائلية في الهند والمسلمون) ، الباب العاشر.
محمد علي (Mohammad Ali) ، تعمل وشو هندو بريشد لارتداد ١٥٠٠ عائلة مسلمة من الإسلام واعتناق الهندوسية في ولاية أتربراديش (VHP 'working on' ١,٥٠٠ Muslim families for 'ghar vapsi' in U.P.) ، الصحيفة الإنجليزية اليومية على الإنترنت "دي هندو"(The Hindu) ، ٢٠١٥/٠٩/١٣.
http://www.thehindu.com/news/national/other-states/vhp-working-on١٥٠٠-muslim-families-for-ghar-vapsi-in-up/article٧٦٤٦٥٨٠.ece?w=alstates

الهندوسية في الهندوسية في العصر الإنجليزي عندما خاف قادة الهندوسية من كثرة المسلمين ، وتوصلوا إلى أن الطبقات السفلى والمنبوذة في الهند إذا لم يتم انخراطهم في الهندوسية شكل المسلمون أكثرية ساحقة في البلاد ، وتقوم لهم حكومة وقوة ،[1] ويوجد حتى اليوم في الطبقات المنبوذة من لايعتبر نفسه هندوسيا ، فقد ألف د . كنتشا إليّا (Kancha Ilaiah المولود ١٩٥٢م) ، البروفيسور في جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية ، حيدر آباد ، الهند كتابا باسم Why I am not a Hindu (لماذا ؟ لست هندوسيا) .[2]

- وقد ذهب بقادة الهندوسية الخوف من كثرة المسلمين إلى أن المنبوذين حتى البراهمة وأساتذة السنسكرتية عادوا يهددون بأنه لولا الوفاء بمتطلباتهم لاعتنقوا الإسلام ، فعادت الحكومة تفي بمتطلباتهم خوفا من انتشار الإسلام . وله أمثلة كثيرة أتركها توخيا للإيجاز ، وقد توجد بعض التفاصيل في الرابط المشار إليه في الهامش .

---

[1] انظر للتفصيل: *هندوستان میں ذات پات اور مسلمان* (الطبقات القبائلية في الهند والمسلمون) ، الباب العاشر.

[2] Kancha Ilaiah, Why I am not a Hindu, Sixth reprint (Samya, Southern Avenue, Calcutta ٧٠٠ ٠٢٦, Feb. ٢٠٠٢)

[3] أنيرُدّها غوسال (Aniruddha Ghosal) ، تهدد العائلات المنبوذة باعتناق الإسلام ، وتحتج وشو هندو بريشد. (Dalit families on dharna 'convert' to Islam, VHP protests) ، الصحيفة الإنجليزية اليومية على الإنترنت دي إندين اكسبريس ، (The Indian Express) ، ٢٠١٥/٠٨/٠٩.
http://indianexpress.com/article/cities/delhi/dalit-families-on-dharna-convert-to-islam-vhp-protests/

هدد ٣٠٠٠ معلم للغتين الهندية والسنسكرتية باعتناق الإسلام في المدينة " غوركهبور ، الصحيفة الهندية على الإنترنت "هندي (Hindi.Pradesh١٨)براديش١٨ " ، ٢٠١٥/٠٩/٠٣
http://hindi.pradesh١٨.com/news/rajasthan/three-thousand-teachers-threaten-to-adopt-islam-in-gorakhpur-٦٦٩٧٠٨.html

محمد علي (Mohammad Ali) ، تريد الطبقة المنبوذة في رام فور اعتناق الإسلام ،ويقول العلماء: لا. (Rampur Valmikis want to convert, clerics say no) ، الصحيفة الإنجليزية اليومية على الإنترنت "دي هندو"(The Hindu) ، ٢٠١٥/٠٤/١٦.

- اجتياح الإعلام الصهيوني للعالم الإسلامي وآثاره السيئة الخطيرة :

وفي الحقيقة إن أكثر الإعلام الصهيوني تمكن من العالم الإسلامي كل التمكن ، فهو يدس فيه السموم ويثير المخاوف من الإسلام ، وعاد الإعلام أمضى سلاح يقوض بناء العالم الإسلامي ويدك قصوره ، حتى عمل في توسيع شقة الخلاف بين الحكومة والجمهور ، ففي سبيل القضاء على الإخوان المسلمين أقام الأعداء محطة الإذاعة باسم الإخوان في إسيوط مصر ، وكانت المحطة ساعية في استثارة الشعب ضد الحكومة ، فلم يكن من الرئيس جمال عبد الناصر (١٩١٨ــ١٩٧٠م) إلا أن يقتل ألوفا من الإخوان الأبرياء ، وثبت فيما بعد أن الأيادي الأجنبية هي التي كانت وراء إقامة هذه المحطة [١] وأمثالها كثيرة .

المصادر والمراجع :

المصادر العربية :

١. القرآن الكريم .
٢. زياد أبو غنيمة ، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية ، (عمان ، دار عمار ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .
٣. سامي مسلم ، صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية ، الطبعة الثانية ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٦م) .
٤. عبد القادر طاش ، صورة الإسلام في الإعلام الغربي ، الطبعة الأولى ،(القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٩٣ م/١٤١٤ هـ) .
٥. مصطفى الدباغ ، الحرب النفسية الإسرائيلية ،(الأردن ، مكتبة المنار ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م) .

المصادر الأجنبية

١. مسعود عالم الفلاحي ، *ہندوستان میں ذات پات اور مسلمان*(الطبقات القبلية في الهند والمسلمون) ، الطبعة الثانية الجديدة (ممبئي ، آئيديل فاونديشن ، والتوزيع : فريد بك دبو ، دلهي الجديدة ، الهند ، ٢٠٠٩م) .
٢. نذر الحفيظ الندوي ، *مغربی میڈیا اور اس کے اثرات* (الإعلام الغربي وآثاره) ، الطبعة الخامسة (الناشر : معظم ومحمد أعظم شرقي ، دار العلوم ندوة العلماء ، لكناؤ ، المطبعة : آزاد بريس ، لكناؤ ، ٢٠١٤م /١٤٣٥هـ)

---

http://www.thehindu.com/news/national/other-states/rampur-valmikis-want-to-convert-clerics-say-cant-blackmail/article٧١٠٥٤١٢.ece

[١] *مغربی میڈیا اور اس کے اثرات* (الإعلام الغربي وآثاره) ١٤٣.

٣. Kancha Ilaiah, Why I am not a Hindu, Sixth reprint (Samya, Southern Avenue, Calcutta ٧٠٠ ٠٢٦, Feb . ٢٠٠٢)
٤. الصحيفة الأردية اليومية "راشتريه سهارا" دلهي الجديدة ، الهند .

Hollywood Movies الأفـــلام الهاليودية/	Bollywood Movies الأفـــلام الباليودية/
The Thief of Baghdad (١٩٤٠)	Roja (١٩٩٢)
Captain Sindbad (١٩٦٣)	Sar Faroosh (١٩٩٩)
The Flight of the Phoenix (١٩٦٥)	Maa Tujhe Salam (٢٠٠٢)
The Wind and the Lion (١٩٧٥)	Escape from Taliban (٢٠٠٣)
Wrong is Right (١٩٨٢)	Zameen (٢٠٠٣)
True Lies (١٩٩٤)	Fanaa (٢٠٠٦)
The Kingdom (٢٠٠٧)	Mission Istambul (٢٠٠٨)
Rendition (٢٠٠٧)	A Wednesday (٢٠٠٩)
Body of Lies (٢٠٠٨)	Kurbaan (٢٠٠٩)
The Hurt Locker (٢٠٠٨)	New York (٢٠٠٩)
Unthinkable (٢٠١٠)	Agent Vinod (٢٠١٢)
Innocence of Muslims (٢٠١٢)	Phantum (٢٠١٥)
	Baby (٢٠١٥)

المواقع :

http ://www .ba-hammam .com
http ://www .bbc .com/urdu
https ://en .wikipedia .org
http ://indianexpress .com
http ://hindi .pradesh١٨ .com
http ://www .outlookindia .com
http ://siasat .com/urdu
http ://www .thehindu .com
http ://timesofindia .indiatimes .com
https ://www .worldwatchmonitor .org

القرآن يتحدى كل عربي وأعجمي

بقلم : الأستاذ محمد عبدالله شارق *

فتحتُ المصحف يوماً ومررت على آية من آيات التحدي ، ولعله كان قوله تعالى في سورة البقرة : (وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ) .

فوجدت في نفسي وأحسست دون أي تكلف ؛ بأن الله تعالى كأنه يقول : جيئوا بحديث من مثل هذا القرآن ، يبين أن الأصنام وغيرها من الخلق عبادتُها حق ، وإنكار البعث صحيح ، وإنكار النبوة المحمدية على صاحبها الصلاة والتسليم حقيق . . كما أن القرآن يبين ويبرهن عبادة الله ، ومعصية الشرك ، وحقية النبوة المحمدية على صاحبها الصلاة والتسليم ، وجزم البعث بعد الموت ، وإساءة جميع أنواع الكفر ، وتحسين جميع أصول الإسلام ومقدماته ودعواته ، على وجه البداهة تقريباً وإكمال الحجة تماماً .

فكأن التحدي – بهذه الجهة المذكورة – ليس في تحسين نظم الكلام وجودة الفصاحة والبيان فقط ؛ كما هو مشهور في معنى بلاغة القرآن الإعجازية ، وإن كان القرآن معجزة خالدة من هذه الجهة أيضا ولانرد ذلك . ولكن التحدي لفرسان الكلام – بالجهة التي نحن بصدد تفصيله – لم يكن في تمثيل الكلام الخالي عن الإملال والإخلال فقط ؛ أي : ولو كان ذاك الكلام مشتملاً على معاني رديئة وخسيسة ، كتوصيف الخيل والبغال ومدح الخمر والنساء ، على ما اعتاده العرب في شعرهم ورجزهم ، بل هذا التحدي يتعلق حينئذ بمجيء كلام بارع مثل كلام الله في إتمام الحجة وتقريب البداهة وتحقيق المقصد وإكمال المرام

* مدير : مركز إحياء التراث (لتحقيق المخطوطات) D-١١٢٣قديرآباد ، ملتان
mitmultan@gmail .com

مشتملاً على إثبات كفرهم وتثبيت عقيدتهم .

وليس في ما بينا إنكارٌ لإعجاز البلاغة في القرآن فإنه حق ، فإن عدد جهات الإعجاز القرآني أكثر من أن تحصى ، فما ذكرت هي جهة من الجهات ، بل أقول : هو عين الجهة البلاغية – مع تحقيق معناها وزيادة شرطٍ في مقتضاها . ألا ترى أن بعض القرآن يفسر بعضه ، وقد قال الله سبحانه في كلامه في مقام آخر متحدياً (في سورة القصص) : (قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) هذه الآية صريحة في بيان جهةٍ خاصةٍ هي أعظم الجهات الإعجازية القرآنية وأظهرها ، ونحن الآن بصدد تفصيل ذلك . فإن كلمة « أهدى » يقتضي أن يكون الكلام المطالب في التحدي مشتملاً على إحقاق كلمة الكفر وأنه أهدى من كلمة الإسلام ، لا أن يكون حسناً جيداً من جهة الفصاحة والبيان فقط .

وقد ذهب ابن كثير إلى هذا المذهب في تفسيره حيث لم يفرق بين تحديات القرآن الأخر ، وهذا التحدي المذكور في سورة القصص ، بل جعل بعضها مثيلاً وشبيهاً وقريناً ومفسراً لبعضها حيث قال في تفسير آية البقرة : « وقد تحداهم الله تعالى في غير موضع من القرآن ، فقال في سورة القصص : (قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) وقال في سورة الإسراء . . . وقال في سورة هود . . . إلى غير ذلك . »

ثم قال بعد قليل : « وتجد في القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء أو الخيل أو الخمر ، أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب ، أو شيئ من المشاهدات المتعينة التي لا تفيد شيئاً ، إلا قدرة المتكلم المعين على الشيئ الخفي أو الدقيق أو إبرازه إلى الشيئ الواضح ، ثم تجد له فيه بيتاً أوبيتين أو أكثر هي بيوت القصيد ، وسائرها هذر لا طائل تحته . » مع أنه لا ينكر إعجاز البلاغة أيضا ، فهذا يحدثنا عنه أنه يذهب في معنى إعجاز البلاغة وتفسيره إلى ما ذهبنا إليه ، فكأنه يقول : إن إثبات الكفر داخل ومطلوب في التحدي من جهة

البلاغة ، وإن قدرة المتكلم على الشيء الخفي أو الدقيق أو إبرازه إلى الشيئ الواضح مع خلو كلامه عن معنى عالٍ أو سجع الكلام وغنائه فقط مع فقدٍ معنوي ليس بكافٍ لمقابلة التحدي .

وإن لم يصح ما ذهبنا إليه في معنى البلاغة ، فلاحرج إذن في تكثير جهات الإعجاز باتفاق الأمة ، سيما إذا تحققت جهة بشهادة نفس القرآن وتفسير بعضِه بعضَه . وقد رأينا أن القرآن يعرف نفسه من جهة المعنى أبدياً أو أكثرياً ، فمثلاً قال الله سبحانه : (يسٓ . وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ) فالقرآن وصف بوصفه « الحكيم » ههنا ولا شك أنه فصيح وبليغ وبديع من جهة اللفظ أيضاً .

وقال : (صٓ وَٱلْقُرْآنِ ذِى ٱلذِّكْرِ . بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) ، وقال : (ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ) ، وقال : (هَـٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) وقد سماه بالذكر والذكرى والموعظة والفرقان وغير ذي عوج وتفصيل كل شيئ . . . إلى غير ذلك . وجميع ذلك يوجه القاري إلى وجهة المعنى – أكثر من وجهة اللفظ .

وقد جعل الإمام ولي الله أيضاً في كتابه « الفوز الكبير » (ص ٩١) علم الشرائع المذكور في القرآن جهة من جهات الإعجاز القرآني . وكذا الشيخ عبدالعظيم الزرقاني في مناهل العرفان (ص ٦٥) ، وعدّ هو هذه الجهة من الجهات التي « من السهل معرفتُها على من لم يتميز في علوم العربية واللسان » . وكذا السيد سليمان الندوي في « سيرة النبي صلى الله عليه وسلم » في الأردية (ج ٤ ص ٢٣٥) ؛ قرر وأكد بأن أثر الآيات القرآنية في النفوس لم يكن لفصاحتها وبلاغتها فقط ، بل لكونها مع اشتمال الكلام على ما اشتمل ، وأيضاً الشيخ الفاضل عبد الماجد الدرياآبادي في تفسيره في الأردية في تفسير سورة البقرة (الآية ٢٣) .

فالتحدي حينئذ : هو أن يأتوا بكلام يصف ويحقق ويبرهن عقائدهم وشرائعهم كما يصف القرآن قواعد الإسلام وشرائعه ، لأن الخلاف لم يكن في أوصاف الخيل والبغال . والتحدي المذكور ليس

للعرب أو لقريش فقط بل للناس قاطبة ، والإعجاز بهذا المعنى المذكور ليس موقوفاً معرفتُها على التميز في علوم العربية ولا على معرفة القصص التأريخية التي فيها ذكر أثر القرآن في النفوس العربية وذكر انخضاع رؤوس الفصحاء والبلغاء والشعراء عند بلاغة القرآن . بل الإعجاز المذكور مفتوح في كل زمان ولجميع أهل أنواع اللغة واللسان ، لأن القرآن يتحدى كل من أعرض عن دعوة القرآن أيًّا من كان وأينما كان ؛ أن يبرهن ويثبت إعراضه وإنكاره وكفره دون أي تصنع ودون أي تكلف ، كما يبرهن القرآن دعوته ومقاصده تقريباً إلى البداهة . فإذا لم يقدروا على ذلك – ولن يقدروا كما أخبر الله سبحانه – ولم يستطيعوا إحقاقَ إنكارِ النبوة المحمدية واستحالةِ البعث بعد الموت والشركِ بالله والإلحادِ في صفاته ، يقال لهم : (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) .

دعوة القرآن ليست إلى غوامض فكرية ، ولا إلى الألغاز الفلسفية التي تحتاج في حلولها إلى الغزو العقلي والمحاربة الفكري ، بل إلى المقاصد التي معرفتها أقرب إلى البداهة . . وكنموذج لذلك انظر مثلاً :

- ألا يكفي لإيقان وجود الباري سبحانه قولُه في القرآن : (أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ) ؟ [1]
- ألا يكفي لإحقاق حق التوحيد لله في الربوبية والألوهية ، أن المشركين بأنفسهم يوحدون الخالقية للواحد ويجعلون سائر آلهتهم خلْق هذا الواحد ؟ قال الله سبحانه : (أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ) [2] فمن هو لايَخلُق شيئاً وهو يُخلَق ؛ هل يستحق المشاركة بمن هو خالق كلِ شيئ وموجودٌ قبل كل شيئ ، ومن هو الأول فليس قبله شيئ ، والآخر فليس بعده شيئ ، والظاهر فليس فوقه شيئ ، والباطن فليس بعده شيئ ؟ وأليس فيه تنقيصٌ لحق الخالق الواحد الأحد

[1] إبراهيم : ١٠.
[2] الأعراف : ١٩١.

الصمد سبحانه ؟ وهل يقبل ذلك العقلُ السليمُ قبل تطليقة سلامته ؟

- وأليس يكفي لإثبات الرسالة المحمدية صدقُ النبي صلى الله عليه وسلم وأمانتُه في حياته العادية ، وقولُه سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ) [1] . فهذه شهادة حياته التي قد انخضعت لها رؤوس من لم يؤمن برسالته أيضاً من أول يوم إلى يومنا هذا ؛ أنه الصادق الأمين في جميع حياته العادية . فإذن إنكار صدقه في حياته النبوية وحمل ادعائه النبوة على الظنون الكاذبة المكذوبة السيئة دون أي وجه ودليل ؛ أليس هو محض الحسد وعناد الحق ؟
- وألا يكفي لدفع استحالة البعث بعد الموت قولُه سبحانه : (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) . [2]

وكذلك منهج القرآن في جميع ما ادّعى وما دعا إليه ؛ نعم ، ولكن القرآن ليس تعرضه بالحجج العقلية حتى التلاعب ، بل ولا يحتاج إلى هذا التلاعب لأن دعوته الناسَ إلى ما دعا إليه أقرب إلى الإذعان العقلي من القشر إلى اللب ، ولا ينكره أحد ممن أنكر إلا لكبره في النفس أو أشباه ذلك . وتلاعب الحجج لا يشغل به إلا من هو أبعد من الحق الصريح المبين ، ولا يشتغل بذلك إلا بقدر بعده عن ذلك .

القرآن يدعو الناس إلى الحق المبين ، فمن أنكر دعوة القرآن أو مطالبه فالقرآن يتحداه بتمثيله من الكلام الذي يبرهن على كفره وإنكاره ، ويحقق أن كفره وما احتوى عليه هو الحق المبين ، لا القرآن وما دعا الناس إليه . وهذا محالٌ إلى أبد الآباد ، وتحدي القرآن ذلك ثابتٌ على قوائمه إلى يوم المعاد ؛ لدى كل من نطق أولم ينطق بالضاد . والسلام على من اتبع الهدى !

● ●

[1] يونس : ١٦ .
[2] يس : ٧٩ .

صور وأوضاع

من المسئول عن الإرهاب في العالم ؟!

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

الفرق الرئيسي بين النظام الإسلامي القائم على أساس تعاليم الإسلام وبين النظام غير الإسلامي ، هو تأكيد كرامة الإنسان ، وصيانة حقوقه ، وتأمين سلامته ، وتأمين المجتمع بالرقابة على الأفراد وسلوكهم ، ولتأمين الأمن والسلامة فرض الإسلام تعليمات موافقة لنواميس الأخلاق والسلوكيات ، منها محاسبة النفس ، واستحضار المسئولية عند الله تعالى ، ورعاية المجتمع ، وإذا فشلت هذه الوسائل في تحقيق الغرض تفرض عقوبات رادعة ، وإذا تفاعلت هذه الوجوه كان المجتمع و البيئة كلها مأمونة ، ويتقدم سكان هذا المجتمع المتكامل ، وتنعدم الجرائم ، و قد أكد القرآن على إقامة المجتمع على هذه الأسس أي على سيادة تعاليم الإسلام الخلقية والإجراءات الرادعة لمنع خروق لتعاليم الإسلام ، والشعور بالمسئولية من الوالي إلى الإنسان تحت رعايته ، وقد ساد الأمن والسلام والعدل في المجتمع بكون الوالي والمولى مسئولين بدون تفريق وامتياز .

والعدل هو أساس تعاليم الإسلام ، لا يفرق في تطبيق مبادئه بين المسلم وغير المسلم كما ورد في القرآن الكريم : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " (المائدة : ٨) .

وفي حالة الاعتداء يأمر الإسلام بالردّ بالمثل : " وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ " (النحل : ١٢٦) ، " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " (البقرة : ١٩٠) .

أما القتل فهو أكبر جريمة لا تغتفر : " مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا " (المائدة : ٣٢) ، ولذلك وردت تعليمات واضحة للسلوك الحسن مع غير المقاتلين من الكفار والمشكرين " وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ " (التوبة : ٦) .

ولمنع حوادث القتل فرض القصاص ، لأن معاقبة المجرم بدون

هوادة رادع للجريمة ، فقال عزّ وجلّ : " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (البقرة : ١٧٩) ، فإذا عمَّ الإحساسَ أن القاتل لا ينجو من العقاب ، والمجرم لا ينجو من العقاب على جريمته ، وتفرض على اتباع هواه قيم الحياة الاجتماعية والحياة الفردية فإنه يمتنع عن الجرائم .

وقد جعل الإسلام المجتمع وذوي النفوذ مسئولين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " . فالمرأة مسئولة عما يأتي تحت رعايتها ، وأصحاب العلم والنفوذ مسئولون عمن يأتي تحت رعايتهم وتصرفاتهم ، ولذلك جاء في الحديث النبوي الشريف : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " ، وقد حثّ القرآن الكريم على جانب سلامة المجتمع فقد ذكر سبب بعثة هذه الأمة ، فقال : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ " (آل عمران : ١١٠) .

واتخذ الإسلام إجراءات لمكافحة الفساد ووسائل لصيانة المجتمع فقال : " وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ " (العنكبوت : ٤٥) .

وجعل الإسلام الإنسان مسئولاً عن أعمال الخير وقضاء أوقاته في الأعمال التي تمنعه من الانحراف والاشتغال بأعمال الفساد ، وإن العقوبات تصبح رادعة إذا صدر فساد أوانحراف ، ويستوي في تطبيق تعاليم الإسلام أصحاب السلطة والسيد والمسود ، كل له مسئوليته .

وجعل الإسلام الوسائل تابعة للأهداف على عكس ما يدعو إليه الفكر الغربي ، وتطبق هذه العقوبات على الوسائل كذلك كما تطبق على الأهداف سواء كان ذلك في كسب المال أو في إنفاق المال ، في كسب السلطة أو ممارسة السلطة ، فأحكام الإسلام واحدة للجميع ولجميع جوانب الحياة وقد جاء في الحديث النبوي الشريف : " الناس سواسية كأسنان المشط " .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً إلى تسلُّم السلطة يوصيه : " اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " ، كما جاء في السيرة والحديث عندما بعث سيدنا معاذ بن جبل إلى اليمن .

وكان الظلم والاعتداء أو خرق حقوق الإنسان أكبر جريمة في

المجتمع الإسلامي القائم على تعاليم الإسلام ، ومن تعاليم الإسلام رعاية فطرة الإنسان ، لا إرهاب فيها ولا تطرُّف ، والإسلام دين تطبيقي ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم من التطرف وقال : " لن يشاد الدين أحد إلا غلبه " ، وقال : " يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا " .

ومن يطالع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يجد أمثلة لهذه الطبيعة للعمل والسلوك الإنساني والرعاية لكرامة الإنسان وطبيعته ، ولذلك قيل الإسلام دين الفطرة .

ومن المؤسف أن الحكام المسلمين والمسئولين في العصور الأخيرة بتأثير الغزو الفكري والثقافي الغربي وحتى قادة الحركات الإسلامية والتربية الإسلامية لم يراعوا هذه التعاليم بتأثير التربية غير الإسلامية كما حدث تقصير في الدعاة في عرض هذه الجوانب المفضلة لحياة الإنسان ، وولّدوا من الوسائل حتى للأهداف النبيلة ما يخالف تعاليم الإسلام لتحقيق الأهداف ، واستغل أعداء الإسلام هذه التصرفات في الهجوم على الإسلام . ولذلك يسود الخوف من الإسلام ، وإذا رفع أحد المطالبة بتطبيق الشريعة ارتفعت أصوات ضده واتخذت وسائل لمنع هذه المطالبة .

إن المسئولية الكبرى لكل ما حدث وما يحدث في العالم الإنساني اليوم ترجع إلى التربية الغربية التي سادت وغلبت حتى على ما يمت إلى المسلمين من أعمال وتصرفات وتحركات ، فإذا قام مجتمع إسلامي متكامل مصبوغ بالصبغة الإسلامية الخلقية في الحكم وحياة الفرد والمجتمع والسلوك ، زالت الشكوك ، وانهارت الدعاية المضللة ضد الإسلام والحكم الإسلامي ، ولكن من سوء الحظ أنه عندما تقوم جهة بإقامة نظام إسلامي وحكم إسلامي توجه الطاقات الكبرى سائر الوسائل المتوفرة لإحباط هذه المحاولة والقيام بهذه التجربة .

يُستَهدَفُ المسلمون ويُحمَّلون مسئولية الإرهاب بوسائل قمعية في معظم أنحاء العالم ، وأحدث ما يتعرضون له ، هو الموقف المعاند للإسلام والمسلمين في الدول العربية التي كانت تعتبر مهدَ الإسلام ، وتُفْرَض فيها قيود على الكتب التي تحمل الفكر الإسلامي حتى الكتب التي تدعو إلى إصلاح المسلمين ، وتقدم تصوّر الإسلام للعدالة الاجتماعية ، ثم يتعدى هذا لاتجاه إلى محاربة منهج الإسلام لإصلاح المجتمع من الفساد ، وإقامة نظام اجتماعي عادل ، بإيعاز الدول الأوربية التي استعمرت العالم

الإسلامي مدة طويلة ، ولهذه العصبية يتعرض المسلمون لوسائل قمعية حتى التهديد لبقائهم كمسلمين ، وتحدث في بعض الدول العصبيات والمجازر ، وتصدر بيانات من القادة السياسيين تهدد المسلمين ، وتفرض القيود على اتباع تعاليم الإسلام .

ويوجد مثل هذا الوضع في الهند التي كانت معروفة بنظامها العلماني والمساواة مع متبعي مختلف الأديان واحترامهم ، وتصدر بيانات مهددة للإسلام والمسلمين إلى حدّ نفيهم من البلاد ، وقد وقعت في المدة الأخيرة من بعض الجماعات المتعصبة حوادث العنف والهجوم المنظم على المسلمين باسم تقديس البقرة وصيانتها ، ورفع هتافات شركية وإجبار المسلمين عليها ، بدون أي مؤاخذة من النظام الساسي الذي يدعي بتحويل البلاد إلى دولة هندوسية لا مكان فيها لغير الهندوس ، وإلى هذا الاتجاه الخطير أشار نائب رئيس الجمهورية الدكتور حامد الأنصاري في خطابه الأخير الذي ألقاه لدى تقاعده في البرلمان الهندي ، وقد أعرب عدد من الزعماء الهندوس المعتدلين عن عدم موافقتهم على الاجراءات التي تتخذ في البلد وأنذروا بأنها ستؤدي إلى تعكير سلامة البلد وأمنه .

ومثل هذا الوضع يوجد في عدد من دول جنوب شرق آسيا ، والغريب أن هذا الوضع لخرق حقوق الإنسان وإهدار كرامته يخفى على وكالات الحقوق الإنسانية والأمم المتحدة ، لأن الذين يواجهون لهذا الوضع هم المسلمون .

إن التاريخ يدل على أن المتبعين لتعاليم الإسلام متبرئون من تهمة الإرهاب ، ومن يوجهون تهمة الإرهاب إلى الإسلام والعمل الإسلامي هم المسئولون عن الإرهاب ، هم الذين استبدوا في عهد حكمهم ، وأساؤوا إلى الإنسانية وخرقوا حقوق الإنسان ، وكبدوا الإنسانية كلها خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات بالحروب والصراعات والتدخُّل في الشؤون الداخلية ، وفرضوا على المجتمع الإنساني تصورهم للحياة الذي لا يميز بين ما هو خير وما هو شر ، وما هو معروف وما هو منكر ، ولا توجد فيه عقوبات رادعة لمنع أسباب الفساد في المجتمع ، فتكثر في هذا المجتمع الجرائم ، وتوجد نسبة مرتفعة للاعتداءات والاغتيال ، وأخضعوا العالم كله ، لتصورهم ولفكرهم ومصلحتهم ، فلا تسعد الإنسانية ولا يسود الأمن والسلام ما دام التسلط الأجنبي موجوداً .

إلى رحمة الله تعالى

(١) فضيلة الشيخ المحدث محمد يونس المظاهري في ذمة الله تعالى

لبّى نداء ربه الكريم فضيلة الشيخ المحدث محمد يونس المظاهري شيخ الحديث بجامعة مظاهر العلوم في مدينة سهارن فور الهند، صباح يوم الاثنين ١٦/ من شهر شوال لعام ١٤٣٨هـ الموافق ٥/١١ من شهر يونيو ٢٠١٧م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ محمد يونس من أحب تلاميذ العلامة الكبير المحدث الجليل شيخ الحديث محمد زكريا رحمه الله تعالى ، صاحب (أوجز المسالك على الموطأ للإمام مالك) فقد تعلم عليه ودرس الحديث والسنة ، ودرس كيفية التدريس وطريقة الاستفادة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد اهتم بتعليمه وتربيته العلامة المحدث " شيخ الحديث " محمد زكريا رحمه الله تعالى .

وأقام عنده طول حياته كما استفاد من كبار علماء الجامعة (مظاهر العلوم) حتى برع في مادة الحديث الشريف بإسناده ورجاله ، وتخرج في العلوم الدينية وعين أستاذاً في جامعة مظاهر العلوم في عام ١٣٨٢هـ وتبوأ منصب شيخ الحديث بعد ثمانية أعوام في عام ١٣٩٠هـ ، وظل على هذا المنصب الجليل إلى آخر لحظات الحياة .

من عظيم خدماته الحديثية تعليقاته على صحيح البخاري وشرحه بأسلوب تحقيقي ، فقد سَجَّلَ تحقيقاته العلمية الحديثية ودراساته العلمية عدد من تلاميذه ونشروها باسم (نبراس الساري إلى رياض البخاري) .

هذا ، وكان الشيخ محمد يونس قد حصل على درجة الخلافة الدينية والبيعة والإرشاد من عظماء التربية وعلماء التاريخ الإسلامي الكبار كالعلامة أشرف علي التهانوي ، والعلامة أسعد الله الرام فوري، والعلامة الشيخ محمد زكريا المعروف بشيخ الحديث (رحمهم الله تعالى) ، فكان يمثل سلاسل المعرفة والتربية الأربع الجشتية ، القادرية النقشبندية والسهروردية .

الواقع الذي ساعده في نشر سنة النبي صلى الله عليه وسلم وتدريس صحيح البخاري دراية ورواية وكان ذانظرة متعمقة في جميع

كتب السنة والصحاح الستة ، كانت جموع لطلاب الحديث يلتفون حوله للانتفاع بعلمه ودراسته وبدينه وتورعه وقد أثنى عليه الناس فيما كان يتمتع به من حب العلم والعلماء ، فكان عائشاً بفضل الله تعالى مع العلماء الربانيين واستفاد منهم في مجال العلم والعمل ما يرفع شأن المؤمن ويصل به إلى أرفع منزلة من العلم والمعرفة حتى يكون مثالاً للأمة في جميع مجالات الحياة .

إنه تلقى العلم والدين من شيخه ومرشده العلامة الكبير المحدث الجليل المعروف بشيخ الحديث محمد زكريا رحمه الله تعالى ، (دفين البقيع) ، فكان يدرس كتب الحديث ودواوين السنة ولا سيما صحيح البخاري الذي كان متقناً لديه ، وكانت دراسته لهذا الكتاب متعمقة وذات فوائد حديثية نادرة في ضوء الكتاب والسنة ، واستمر في هذا العمل المبارك نحو خمسين عاماً وتخرج على يديه جماعات من علماء الحديث والسنة ممن خدموا ولا يزالون يخدمون العلم والدين ، ويعملون في مجال الدعوة إلى الله تعالى واتباع السنة .

تغمّده الله تعالى بواسع رحمته ، وغفر له زلاته وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل والتوفيق للدعاء والاستغفار الدائمين له ، من الله تعالى ، والله ولي التوفيق .

(٢) فضيلة الشيخ نسيم أحمد غازي المظاهري إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ نسيم أحمد غازي المظاهري ، شيخ الحديث بدار العلوم جامع الهدى في بلدة مراد آباد (الهند) في ١٣/ من شهر شوال لعام ١٤٣٨هـ الموافق ٨/ من شهر يوليو لعام ٢٠١٧م ، مساء يوم السبت ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ من مواليد ١٣٥٧هـ ، المصادف ١٩٣٨م في إحدى ضواحي بجنور بولاية أترابرديش الغربية ، وبعد ما انتهى من التعليم البدائي والثانوي التحق بمدرسة مظاهر علوم، سهارن فور ، وتلقى دروس العلم والدين والسنة من العلامة الشيخ أسعد الله رئيس مظاهر علوم ، ومن العلامة الجليل والمحدث الكبير شيخ الحديث العلامة محمد زكريا رحمه الله تعالى ، ومن فضيلة الشيخ المفتى مظفر حسين رحمه الله تعالى والشيخ الكبير شيخ الحديث عبد الجبار رحمه الله تعالى ، في مدرسة

شاهي مراد آباد ، والشيخ الجليل شاه عبد الرحيم رحمه الله ، وحصل من هؤلاء العلماء الكبار إجازة البيعة الدينية والخلافة العلمية .

إنه اشتغل بالتدريس والتعليم في مدارس إسلامية عديدة ، منها مدرسة كاشف العلوم ، وأشرف العلوم ، وحياة العلوم ، والمدرسة الإمدادية ، والجامعة القاسمية بمدرسة شاهي مراد آباد واستقر إلى آخر أيام حياته المباركة كشيخ الحديث في دار العلوم جامع الهدى مراد آباد ، إلى مدة ٤٢/ عاماً .

كان الشيخ غازي مثالاً في الدين والعلم والورع ، فكان الناس وجماعات العلماء والطلاب يستفيدون منه في جميع هذه المجالات الحيوية ، ويقلدونه في أداء المسئولية والعمل لصالح الفرد والجماعة .

رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً وغفر له زلاته وأكرم نزله في جنات ونعيم ، فإن المتقين في جنات ونعيم (بشهادة كتاب الله تعالى) وألهم أهله وذويه والجميع ، الصبر والسلوة ، والله ولي المتقين .

(٣) الشيخ الطبيب السيد محمد إلياس في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء الآتية من سهارن فور (الهند) بوفاة الشيخ الطبيب السيد محمد إلياس ، والد فضيلة الشيخ السيد محمد شاهد المظاهري أمين عام جامعة مظاهر العلوم في مدينة سهارن فور بولاية أترابرديش (الهند) ، وذلك في ١٨/ من شهر شوال لعام ١٣٤٨هـ المصادف عصر اليوم الرابع عشر ١٤/ من يونيو ٢٠١٧م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ محمد إلياس من أعضاء أسرة العلامة الجليل المحدث الكبير شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله تعالى ، فكان قد جمع بين علم الدين وعلم الطب ، وأفاد الناس بعلمه ومعالجاته للأمراض ، وقد أكرمه الله تعالى بيد الشفاء في علاج المرضى ، وبذلك كان نموذجاً طيباً لخدمة الخلق بإخلاص وعناية فائقة .

ونحن إذ نغزي فضيلة الشيخ السيد محمد شاهد المظاهري والأسرة الكريمة على هذا الحادث الحزين ، ندعو الله تعالى أن يرحم الفقيد رحمةً واسعةً ويكرم نزله في جنات النعيم ويغفر له زلاته ويلهم أهله وذويه الصبر الجميل إنه على كل شيئ قدير .

(٤) الأستاذ الحاج محمد إقبال الصديقي إلى رحمة الله تعالى

فجاءة أفادتنا الأنباء بوفاة الأستاذ محمد إقبال الصديقي ، مسجل إدارة دارالعلوم لندوة العلماء ، مساء يوم الجمعة ١٢/ من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٨هـ الموافق ٤/ من أغسطس ٢٠١٧م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت له صلة مخلصة بجامعة ندوة العلماء ، فقد عمل في مختلف الأقسام منها ، وفي الأخير شغل منصب المسجل العام لدارالعلوم ندوة العلماء وقام بواجبه خير قيام بغاية من الدقة والأمانة إلى آخر لحظات الحياة .

كان يتمتع بأخلاق طيبة ويعامل الناس (طلاباً وأساتذةً) بكل احترام وبشاشة حتى عرف بذلك لدى المجتمع فكان محترماً مكرماً فيه .

حضر في المكتب الإداري لدارالعلوم قبل وفاته بيوم كالعادة ، ولم يكن هناك أي بأس أو أثر من مرض ، وصلى في حي قريته صلاة الجمعة حسب العادة ، ولكنه فوجئ بعد صلاة العصر بنهاية حياته ، عرف ذلك أهله بعد ما استقبلوا ضيفاً جاء لزيارته ، فإذا به نائم على فراشه لاحراك فيه ، وكانت طائرة الروح قد طارت إلى الملأ الأعلى عند ربه ، وهناك أعلن عن وفاته ، وبدأت جماعات من أصدقائه وأقاربه تترى للتعزية ، وكان فضيلة الشيخ الجليل الأستاذ السيد محمد حمزة الحسني الندوي نائب الرئيس لندوة العلماء من المعزين الأولين ذاهباً إلى مقره في (باني غاؤن) في منطقة إندرا نغر ، لكناؤ . وأشار على أهله أن يجعلوا صلاة الجنازة في ساحة دار العلوم حيث تصلى عليه جماعة كبيرة من الطلبة والأساتذة وهكذا كان ، وتمَّ دفنه في قريته بعد الصلاة عليه في ساحة دارالعلوم .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه والجميع الصبر الجميل (آمين) .

(٥) الأستاذ محمد عمران الندوي إلى رحمة الله تعالى

صُدمنا بنبأ وفاة الأخ العزيز الأستاذ محمد عمران خان الندوي نجل فضيلة الشيخ الكبير مولانا أبي العرفان خان الندوي رحمه الله ، مدير دار العلوم لندوة العلماء سابقاً ، وذلك ليلة السبت ١٣/ من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٨هـ المصادف ٥/ شهر أغسطس ٢٠١٧م ، وتوفي في مدينة

بيوندي حيث كان مدرساً في إحدى المدارس الحكومية الشعبية ، وكان قد بلغ من العمر أكثر خمسين عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأخ العزيز ، الراحل الكريم من أحب تلاميذ أساتذة دار العلوم ، يوم كان طالباً ومقيماً مع والده الجليل رحمه الله تعالى ، يواظب على العمل الدراسي ويستفيد من جمع وسائل العلم والمعرفة بطريق حسن ، وكان يحب الاستزادة من العلم والمعارف مهما كانت الظروف ، فأكرمه الله تعالى بالعلم والأدب ، وقد تخرج فيهما بامتياز وتفوق .

ومنذ ذلك الوقت كان مدرساً في إحدى المدارس العلمية والدينية في ولاية مهاراشترا الهند ، طالما كان يزور دارالعلوم في الإجازات ويفرح بذكرياته الحلوة من أيام دراسته في دارالعلوم .

رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً وغفر له زلاته وأكرم نزله في جنات ونعيم ، وألهم أهله وأولاده وذويه الصبر الجميل .

(٦) الأستاذ عبد العليم القدوائي إلى رحمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة الأستاذ الدكتور عبد العليم القدوائي مدير وسائل التعليم للجنة التنمية التعليمية لجامعة عليكراه الإسلامية والمشرف على تنمية الخدمات الاقتصادية لحكومة الهند ، وذلك في اليوم الثامن من شهر أغسطس ٢٠١٧م بعد مرض طويل في منزله ببلدة علي كراه الهند ، بالغاً من العمر ٨٨/ عاماً . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان المرحوم قد قضى حياته كلها في أعمال وخدمات جليلة للحكومة الهندية ، وفي مجال التعليم والتربية بغاية من التركيز والعناية البالغة في أداء مهماته ، كانت له علاقة القرابة بمفسر القرآن الكريم العلامة عبد الماجد دريابادي رحمه الله تعالى ، وبواسطة منه بندوة العلماء ورجلها العظيم الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) ، والشيخ نعيم الرحمن الصديقي الندوي رئيس مؤسسة الصدق بمدينة لكناؤ أحد أسباطه .

صلى عليه المسئولون عن الجامعة وحشد من الناس في علي كراه حيث تم دفنه في مقبرة سر سيد ناغر .

رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاته وأكرم نزله في جنات ونعيم ، وألهم أهله وأولاده وذويه الصبر الجميل .